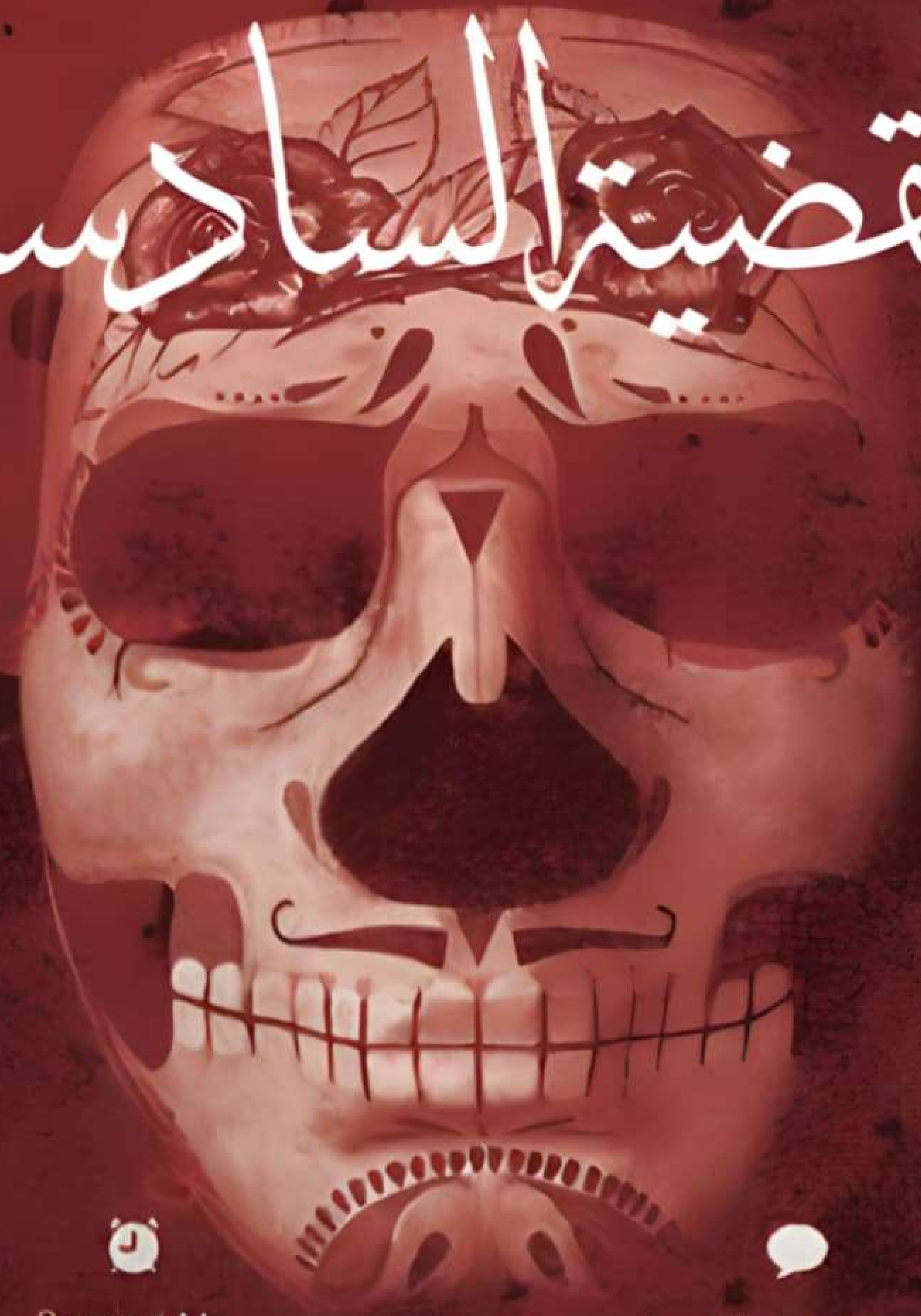
عدد خاص جدًا

حلمي مهران

HELMY MAHRAN

القضية السادسة



Remind Me

Message



Decline



Accept

مكالمة موت



أحمد عثمان

ضياء

#بس_المهم_تفهمني

حلمي مهران
HELMY MAHRAN

القضية السادسة

مُكالمة مَوت

أحمد عثمان



الكتـــــاب: حلمي مهران: القضية السادسة: مكالمة موت
اسم المـــؤلف: أحمد عثمان
الغلاف والرسم: مارك إبراهيم
التدقيق اللغوي: محمد فهمي
الطبعـــــة: فبراير 2024
رقـم الإيـــداع: 2024 / 3972
الترقيـم الدولـي: 6 - 730 - 779 - 977 - 978
الموقع الإلكتروني: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
=============
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعـــراوي، وســط البـــلد، القاهـــرة
هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173
الموقع الإلكتروني: www.ibda3eg.com


dar_ibda3


ibda3-tp


dar_ibda3



تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب



#روح-قصاد-روح



قد يُقابل «حلمي مهران» في كل عدد بعض شخوص عوالم الكاتب، وأبطال أعماله، إلا أن كل عمل يُحافظ على استقلاليته، ولا يتطلب قراءة أو متابعة بقية الأعمال لمتابعة السلسلة. فقط سلسلة «حلمي مهران».

إهداء

إلى أصحاب الذكاء الطبيعي



من عيادة الدكتور «علي» المرتدي هذا القناع الذي يُخفي وجهه، كان «حلمي مهران» يقص تجربته مع تلك الطبيبة «هدى الحكيم» الذي وافتها المنية بعد أن تركها لمصيرها عندما تأكد من ذنبها وتجاربها على مرضاها، ليظل الدكتور النفسي «علي» يستمع إلى تطور «حلمي مهران» الذي لا يزال يشك أنه هو «ابن آوى»، هذا القاتل المتسلسل، فكلما مارَس هذا القاتلُ مهامه في تصفية مَن يستحق، يُشاهد «حلمي مهران» ما يحدث وكأنها رؤيا تَعبر من أمامه قبل أن يستيقظ من على سريره يقرأ ما حدث على صفحات التواصل الاجتماعي، وها هو الآن قد قرأ ما حدث على تلك الجزيرة، وإن كان يعلم ما لم يتم ذكره، والآن هو يقص كل تلك الأحداث على طبيبه «علي» المبتسم من هول الأسرار التي صار يعرفها عن هذا المحامي العبقري الذي يستطيع أن يساعده كثيرًا فيما يحتاج، فلقد كان لـ«علي» قضية قديمة يبحث عمن يساعده في فك طلاسمها، أما الآن فهو يؤكد لـ«حلمي مهران» أنه هو بالفعل «ابن آوى» ليس فقط وعدًا منه لذلك، بل حتى يستطيع أن يكسر كبرياءه كي يساعده فيما يحتاج، ليخلع أخيرًا «علي» قناعه الذي يخفي تشوه وجهه، فيرمقه «حلمي مهران» مندهشًا من هول البشاعة قبل أن يستيقظ الآن كعادته من على فراشه على هذا الرنين.

***

ظل رنين الهاتف المتكرر يُزعج «حلمي مهران» النائم، بينما دونت شاشة الهاتف رقمًا غير مسجل للمتصل. بصعوبة

يقترب «حلمي مهران» بيده من الشاشة وسط الظلام ويُجيب:

- آلو.

- لسة نايم لغاية دلوقتي يا «حلمي»! لأ صحصح وفوقلي كده.

يقولها المتصل المجهول بصوت مبحوح ذي ثقة، مع ظهور الاندهاش على ملامح «حلمي مهران» الذي يتساءل:

- مين معايا؟!

- مش مهم أنا مين، المهم إن أنا عارف كويس أوي إنت مين!!

يعتدل «حلمي مهران» في جلسته بعصبية:

- إخلص يا بني آدم، عايز إيه؟

- ماتستعجلش على رزقك، إحنا النهارده هنتكلم طول الليل، وهنرغي في كل حاجة عملتها في حياتك، اللي ندمت عليها واللي لسة هتندم!

ينفعل «حلمي مهران» ويقف في غضب قائلًا:

- شكلك ماتعرفش أنا مين!

- بالعكس، أنا أكتر واحد عارف أنت مين، علشان كده لما تفوق من النوم أنت بنفسك هتعتذر لي.

يقولها المتصل، بينما ظل «حلمي مهران» يبحث عن ابنه «وليد» الذي كان من المفترض أن تجلبه له طليقته

«وعد» بالأمس.

- ماتدوّرش على ابنك يا حضرة الضابط.

استخدم المتصل كنية «حلمي مهران» السابقة، ليندهش الأخير بينما تابع:

- أصلُه عندي مع طليقتك وبنتها الصغيرة من البيه الجديد؛ «فؤاد» اسمه صح؟

- أنت بتقول إيه يا مجنون؟

- صدّقني، لما تفهم اللي بيحصل هتتكلم معايا بطريقة أحسن من كده.

قفز «حلمي مهران» من على السرير مُضيئًا باقي الغرفة يبحث عن ابنه وينادي إياه ليتابع المتصل؛ وكأنه يتحدث إلى طفل:

- تاني يا «حلمي»! أنا مابحبش أكرر كلامي.. بس ماشي، ابنك مارجعش البيت، والصراحة مش هيرجع دلوقتي. ما هي طليقتك ماوصّلتوش عندك أصلًا.

بطريقة جنونية يُغير أسلوب حديثه إلى طريقة ساخرة ليتابع:

- ما هُم راحوا المكان اللي أنت بعتهم عليه بنفسك يا «حلمي».

يُردد «المتصل» اسم «حلمي» بطريقة مميزة وكأنه يقومه.

- مكان إيه يا حيوان أنت؟!

يقولها وهو يخرج من غرفته.

- لأ بلاش شتيمة، علشان هتزعل، عمومًا هاستحملك شوية، بس صدقني مش كتير.

من الخارج يُنادي «حلمي مهران» ابنه دون فائدة.. ليقاطعه «المتصل» مكملًا:

- أنت مش مصدقني ليه؟ هفهمك: أصل أنا رِكبت تليفونك وبَعتّهم عليّ أنا، ما أنا وأنت واحد يا «حلمي»... يلَّا فوق كده واغسل وشك وكلمني، ورانا شغل كتير.

يقولها المتصل ثم يُغلق الهاتف بجرأة لا يمتلكها الكثيرون، خاصة مَن يتعامل مع «حلمي مهران».

من خارج الغرفة ظل الأخير يبحث عن «وليد» في جنون، ليزداد توتره وهو يُخرج هاتفه متجهًا إلى مكتبه متصلًا بـ«وعد» طليقته، قبل أن يسمع للتو صوت نفْس «المتصل» يُجيبه من هاتف «وعد»:

- معلش يا «حلمي» طليقتك مش هتعرف ترد عليك، إيديها مشغولة، وأنا كمان الصراحة!

قالها الآن «المتصل» الذي كان يقوم بتصنيع حزام ناسف، بيده المغطاة بقفاز جلدي، داخل تلك الغرفة المظلمة والمليئة بشاشات للمراقبة، بينما كان «المتصل» يرتدي قناعًا غريبًا لجمجمة إلكترونية وكأنها جمجمة رجل آليّ، كما كان لها عينان غريبتان وكأنهما نظارة ثلاثية الأبعاد، وكان يرتدي «هودي» بغطاء رأس غطى به شعره، بينما يضع سماعة رأس كبيرة مع مايك كالتي

يرتديها مذيعو الرياضة.

لا يزال «المتصل» يضع البارود والمفرقعات في الحزام، بينما يظهر من حركة الفم وصوته أنه يمضغ اللبان.

- لو لمستها هاقتلك.

قالها «حلمي مهران» ليقاطعه «المتصل» بقوة:

- قُلتلك بلاش عصبية يا «حلمي» لأحسن أنت ماتعرفش إن أنا كمان عصبي وعصبيتي وحشة، ولو لسانك طاوعك إنك تغلط تاني، مش لسانك أنت اللي هيتقطع!

يلتفت «المتصل» لتظهر في الخلفية إلى الشاشات التي يظهر عليها صورة اثنين مُقيدَين دون وضوح لملامحهما لصغر الشاشة.. ولكنهما بالطبع كان أحدهما «وعد» ،والآخر «وليد»، ابنهما.

- أنت عايز إيه؟ فلوس؟

قالها «حلمي مهران» متسائلًا من وسط الصالة، وهو في حالة يُرثى لها.

- فلوس إيه بس يا «حلمي»، هو أنا لو عايز فلوس هاروحلك ليه، من قلة الناس اللي معاها فلوس في البلد!

يجلس «حلمي مهران» في يأس:

- طب عايز إيه؟

عايزك تلحق البنت الصغيرة.. «إيمان» اسمها.. صح؟

ينفعل «حلمي مهران»:

- لو لمست شعرة منها هاقتلك.

بطريقته الجنونية يُعلق «المتصل»:

- جميل أنت والله يا «حلمي»، ياريتني عندي نص ثقتك الكدابة دي، عمومًا أنا مش هاعمل حاجة في عيلة صغير، هو أنا ماعنديش قلب؟! أنت تعرف عني كده برضه، ولّا أنت تعرف منين، عمومًا هنتكلم كتير، بس دلوقتي لازم تلحق البنت.

- حرام عليك دي حتة عيلة صغيرة.

- ما هو أنا علشان كده باقولك يا «حلمي»، لازم تلحقها.. البنت ماتستحملش بهدلة.

- هي فين؟

تساءل «حلمي مهران»، ليُجيبه «المتصل» مُستجيبًا لطاعته.

- أهو ده الكلام، شوية وهاقولك تكون لبست، وزي ما قولتك بلاش شقاوة، وعمومًا أنا راكب تليفونك يا «حلمي».

يقولها «المتصل» ويُنهي الاتصال، بينما يضع الحزام الناسف على منضدة ثم يأخذ علبة لبان مميزة، فيُخرج العلكة التي كانت بفمه أولًا ليضعها عند المنضدة، ثم يأخذ واحدة أخرى ويشغل جهاز الموسيقى الكلاسيكية وهو يتحرك إلى باب يفتحه وهو يتراقص، ليخرج من عزبة نيلية قديمة، استخدمها وكرًا لأفعاله الجنونية، والتي كان لها

حديقة خلفية واسعة مُطلة على النيل. مشى فيها «المتصل» مارًّا بقبرين توسّطا الحديقة وصولًا إلى لسان وسط المياه المظلمة، وصل إليه وتحرك متراقصًا عليه بطريقة مَرَضية، خطوة تلو الأخرى حتى وصل إلى مركب صغير يُشبه اللايف بوت مع نهاية السيمفونية ليركبها من فوره.

كان ذلك بينما «حلمي مهران» قد أنهى تغيير ملابسه بسرعة وظل يبحث عن الساعي «حاجب»، ولكنه لم يكن في المنزل في هذا الوقت هو الآخر، فتوجه ناحية غرفة مكتبه؛ حيث كانت مديرة مكتبه؛ «ماجي» تضع هاتفًا آخر للعمل، فأخذه «حلمي مهران» ليتصل بها بديلًا عن هاتفه، لتجيب أخيرًا بعد عدة رنات.

- أيوة يا «ماجي».

- خير يا «حلمي»، هي الساعة كام؟

- مش وقته يا «ماجي»، أنا في مصيبة ومحتاجِك.

بدأ «حلمي مهران» بسرعة استغلال الوقت ليشرح لـ«ماجي» ما حدث مُستغلًّا انشغال «المتصل» المجهول عنه تلك اللحظات. ظهر ازدياد توتر «ماجي» من طبقة صوتها:

- أنا خايفة عليك يا «حلمي».

- مش وقته، لازم نفهم الأول، أنا هاشيرلك اللوكيشن بتاعي لايف من التليفون ده، زي ما اتفقنا نتابعيني من بعيد.

- أنت متأكد إنك مش عايزني أبلغ «هشام»؟

تساءلت «ماجي»، فلقد كان «هشام» صديق «حلمي مهران» قبل أن يكون مجرد ضابط مباحث...

- ده لو حصلي حاجة.

- بعد الشر عليك يا «حلمي».

يظهر على «حلمي مهران» الارتياح لحديثها على غير العادة!

- المهم إنِّك تبقي من بعيد يا «ماجي» زي ما اتفقنا.

- تلميذتك ماتخافش.

تقولها قبل أن يرن هاتفه الأول بتلك الرنة المميزة، فيُسرع بالإجابة تاركًا «ماجي»، وقد وضع هاتفه الثاني على خاصية الصامت بوضوح، ليجيب «المتصل»:

- شكلي وحشتك يا «حلمي».

- إخلص.. «إيمان» فين؟

تساءل «حلمي مهران»، فابتسم «المتصل» الذي كان الآن بجانب الرضيعة بالفعل داخل مركب خشبي متهالك في وسط المياه.

- البنت لوحدها على مركب في نص مياه النيل، وولاد الحرام كمان خارمينها.

قالها «المتصل» وهو يُتلف بنفسه المركب بقفازه الجلدي لتخترقه المياه.

- يعني أعتقد أقل من نص ساعة بالكتير والبنت هتغرق.

يقولها وهو يغادر المركب عائدًا إلى لايف بوت، بينما يتوقف «حلمي مهران» بسرعة في خوف:

- أنت أكيد مجنون!

- تاني! ما ده شيء مفروغ منه يا صديقي، بس سيبك مني دلوقتي وخليك في البنوتة الحلوة دي مفيش وقت. انزل جري على اللوكيشن اللي هابعتهولك.

يبتسم «المتصل» مُستمتعًا باللعبة متابعًا:

- وابقى كلمني، بس على تليفوني الله يخليك، علشان تليفون مراتك ده مش هيشتغل تاني.

يقولها ويُنهي الاتصال ليُلقي هاتف «وعد» في المياه، ثم يُخرج هاتفه الذي فيه صورة تُظهر شقة «حلمي مهران» من الخارج؛ حيث إنه يراقبه، قبل أن يرمق تلك الرضيعة تصرخ خائفة وسط هذا المركب المتهالك.

***

(١)

أسرع «حلمي مهران» في الخروج ثم بحث عن دراجته النارية فلم يجدها، بينما كان الشارع هادئًا في تلك الساعة المتأخرة من الليل، ليتوتر وهو يعلم خطورة الوقت لإنقاذ ابنة طليقته التي لم تكن لتسامحه أبدًا إذا أصابها مكروه، قبل أن يرن هاتفه ويسمع صوت «المتصل»:

- يا «حلمي» معلش أنا نسيت أقولك إني استلفت موتسيكلك، بس عمومًا الجيران لبعضيها.

قالها وأنهى الاتصال، ليظل «حلمي مهران» منفعلًا يجهل ماذا يفعل، إلا أنه أدرك الرسالة، ولكنه لم يكن اجتماعيًّا، لذا كان يتجنب الجيران، أما الآن فقد أصبح مُضطرًّا لأحدهم، ليرمق ساعته التي تُشير إلى الثالثة صباحًا، ثم توجه إلى صاحب هذا المتجر الساهر الذي رمق إضاءته الخافتة، حيث كان صاحبه الشيخ «خالد» رجلًا ستينيًّا بسيطًا، وقد كان يُجرد بضاعته، فلم يكن للشيخ «خالد» عائلة، بل كان ستينيًّا وحيدًا فتح متجره المتهالك ليشغل وقته، قبل أن يُلاحظ اقتراب «حلمي مهران» الذي كان يعرفه بالطبع، إلا أنه لم يتواصل معه أبدًا.

من الخارج، ظلَّ «حلمي مهران» متوقفًا في قلق، فتوجه إليه الشيخ «خالد» فاتحًا الباب:

- في حاجة يا أستاذ «حلمي»؟

في تردُّد نظر «حلمي مهران» إلى سيارة الشيخ «خالد»

القديمة التي كانت مصفوفة هناك، قبل أن يبتسم الشيخ «خالد» مُخرِجًا مفتاحه دون أن يسأله حتى عن السبب، فشعر «حلمي مهران» فجأة بقصوره قبل أن يُسرع إلى تلك السيارة القديمة، ليبدأ طريقه إلى المجهول تابعًا المكان الذي أرسله له المتصل المجهول، في تلك المنطقة النيلية عند «منيل شيحة»، والتي لم تكن بعيدة عن «حلمي مهران» الذي استقبل اتصالًا آخر:

- شوفت بقى إن الجيران بتنفع!

- هو أنت جاي تربيني؟!

- يا ريت كنت أقدر. المهم، طمني على «إيمان» وصلتلها ولّا لسة؟

يصرخ «حلمي مهران».

- قسمًا برب الكعبة لو حصلها حاجة لأدفنك أنت وأهلك كلهم.

- إن شاء الله هتلحقها، بالمناسبة هتعرف مكانها من الفاير وركس.

يقولها قبل أن يُلاحظ «حلمي مهران» ألعابًا نارية للتو من ناحية النيل، ليهرع ويصُفّ السيارة عند ميناء بسيط به بعض اليخوت المصفوفة والتي زارها «حلمي مهران» بالفعل منذ بضع ساعات، حين طلبه رجل الأعمال المشهور «محمد ناجي» في قضية رفضها «حلمي مهران» بعدما تأكد من إدانة المتهم الذي كان الابنَ الوحيد لرجل الأعمال ذاك.

ترجّل «حلمي مهران» وظل يركض ناحية اليخوت المصفوفة، وهو لا يزال ينظر إلى الألعاب النارية في السماء، والتي أظهرت له معالم المركب الخشبي الذي يكاد يغرق من على بُعد أكثر من كيلو متر منه. فاضطُر «حلمي مهران» أن يبحث عن طريقة للوصول إلى هذا المركب، فبدأ في التسلل بين اليخوت علّه يجد فيها مَا يعمل، ولكن دون فائدة، فوصل إلى يخت رجل الأعمال «محمد ناجي» على مضض، ودخله باحثًا عن المفتاح، بينما كانت المياه قد ملأت مركب «إيمان» الرضيعة الخشبي، وهي ترمق السماء منبهرة بالألعاب النارية مُبتسمة، غير منتبهة لما يحدث، وقد بدأت المياه تُغطي أغلب جسدها.

من اليخت أخرج «حلمي مهران» هاتفه مرة أخرى ليتصل بـ«محمد ناجي» الذي أجابه سعيدًا:

- الباشا الكبير بنفسه، إيه.. غيّرت رأيك؟

- مفتاح اليخت فين؟

اندهش الخمسيني «محمد ناجي» حين سمع سؤال «حلمي مهران» الغريب.

- اليخت بتاعي! إيه هو عجبك؟

تساءل «محمد ناجي» ظنًّا منه أن «حلمي مهران» قد جاء بالليل ليطلب صفقة مادية ما:

- والله يا باشا لو عايز يخت أجيبلك يخت، بس تخلصني من قضية ابني كلها.

- أنت هتستعبط، فين مفتاح اليخت بتاعك اللي كنا فيه الصبح.

قالها «حلمي مهران» بعصبية غير مُنتبه أن «المتصل» المجهول يتصنت على المكالمة من على بُعد عدة أمتار داخل اللايف بوت لا يظهر من ظلمة الليل، بينما تابع «حلمي مهران» حديثه إلى «محمد ناجي» مُهددًا إياه:

- يا ريت ماتكونش أنت اللي ورا اللي بيحصل؛ لأحسن ودِيني ليكون ابنك واخد إعدام مش عشر سنين.

- يا باشا أنت عايز إيه؟ ما إحنا مااتفقناش الصبح!

- قلتلك مفتاح يختك، أنت قُلتلي إنك بتسيبه فيه.

كان صوت «حلمي مهران» يائسًا إلى درجة أن «محمد ناجي» استغل الموقف:

- يعني نعتبر نفسنا متفقين، وهتترافع عن ابني؟

منكسرًا رمق «حلمي مهران» المركب الخشبي الذي يتهالك ليوافق الرجل؛ ليُطلعه الأخير على مكان مفاتيح اليخت التي كان يتركها بداخله في مكان ما بالفعل، تلك المعلومة التي سمعها «المتصل» في الصباح هو الآخر، حين كان يجهز لخطته، فيبتسم الآن وهو يرمق حركة «حلمي مهران» باليخت مُتجهًا إلى المركب؛ حيث كادت المياه تغطي وجه الرضيعة التي تبكي صارخةً واليخت يقترب من بعيد ومن داخله «حلمي مهران» يقوده، وهو يرمق ساعته التي صارت الثالثة والنصف إلا بضع دقائق تفصل بين موت الرضيعة وتمسُّكها بالحياة، حتى اقترب مركب

«حلمي مهران» فقد قطع نصف الطريق قبل أن يسمع صوت توقف الموتور، ليلتفت إليه مسرعًا فيجده قد توقف، مع لحظة سماع رنين الهاتف حيث كان «المتصل» يرمقه مستمتعًا بضعفه:

- إيه يا «حلمي»، ترفض تترافع عن ابن الراجل الصبح وتاخد يخته بالليل! طب كنت قولي علشان أزوّدهولك بنزين.

انتبه «حلمي مهران» إلى إشارة «المتصل» بنفاد الوقود المتعمّد فيصرخ:

- أنت بتعمل كده ليه؟!

- تاني يا «حلمي»! قلتلك أنا عايزك تلحق البنت، دقيقتين تلاتة وهتغرق، وذنبها هيبقى في رقبتك العمر كله.

يكاد «حلمي مهران» أن يدمع بينما تابع «المتصل» متهكمًا:

- إلا لو لحقتها.. عوم بقى.

ترك «حلمي مهران» الهاتف وهو يرمق المركب، نخلع السويت شيرت وقفز مسرعًا في المياه، وبدأ يصارع تلك المياه وقسوتها. لم تكن مياه النيل أبدًا سهلة للسباحة، هي مهلكة بكل تأكيد، ولكنه صار يسمع صوت بكاء الرضيعة تستغيث لحاول الاستمرار بمروءته، مستمرًّا مُستقبِلًا آلام صدره الذي يحاول إرسال رسالة الاستسلام إلى العقل ليعطي الضوء الأخضر لباقي أعضاء الجسد في التوقف عن العمل.

من السماء استمرت الألعاب النارية تتراقص تُغازل عينيه قبل أن تغلقا، بينما بدأت المياه الوصول إلى رئتَي «حلمي مهران» الذي شرب الكثير من المياه، فيزداد تهالكه وهو يرمق غرق المركب بالكامل.

توقف جسد «حلمي مهران» عن العمل؛ إذ بمجرد أن وصل إلى مكان المركب الغارق، هناك شعر بمَن يسحبه. لم يعرف كيف ولكنه تذكّر في تلك اللحظة «أمنية» حبيبته مجهولة المصير، كانت من أسفل المياه هناك ترمقه بعين مليئة بالحب، لحظات واجهَ فيها «حلمي مهران» الموت مرة ثانية، قبل أن تتوقف الألعاب النارية ليبدأ «حلمي مهران» تذكُّر مشاهد شريط حياته السابقة.

***

في أحد أيام الشتاء منذ أكثر من عشر سنوات استيقظ «حلمي مهران» من داخل فيلَّا والدته «حكمت»، حيث كان يسكنُ حينها معها هو وزوجته «وعد» التي كانت تسهر كثيرًا تاركة إياه وحيدًا في الصباح حين يستيقظ ليقوم بمهام عمله، ليستقبل «حلمي مهران» يومه المعتاد، وينزل الطابق الأرضي ليجد والدته هناك تستقبله بحرارة كعادتها؛ فلقد كانت هي مصدر الحنان الوحيد في حياته!

- حبيبي، أنا جهزتلك الفطار.

- بنَفسِك يا أمي برضه!

- وهو أنا عندي أغلى منك يا عبقرينو!

ابتسم «حلمي مهران» الذي لم يكن يشعر حينها باختلافه،



فلم يكن يشعر بنجاح يُذكر في عمله، فلم يقدم نجاحًا ملحوظًا حين كان يعمل بالداخلية المصرية، بإدارة التوثيق والمعلومات.

- أنتِ لسة فاكرة يا أمي؟!

- وهو في أم تنسى ابنها يا «حلمي»؟! ده أنت حلمي من زمان، أنا وأبوك الله يرحمه.

قالتها «حكمت» من على منضدة الطعام؛ ليتذكر «حلمي مهران» والدَه الضابط «عبد المهيمن مهران» الذي كان قدوةً له، بل والسبب الأساسي لالتحاقه بالداخلية من الأساس، خاصة بعدما استُشهد في عملية ضد الإرهاب راحَ ضحيتها مُفتديًا اللواء «فاروق» والد «وعد».

- أنا كان نِفسي أفرّحه بيا يا أمي، بس أنا حاسس إني لازم أقدّم استقالتي من الداخلية، أنا مش مكبّر اسمه.. بالعكس!

- إيه اللي بتقوله ده يا «حلمي»! أبوك لو كان عايش كان زمانه فرحان بيك زيي بالضبط، بس كل وقت وله أدان، أنت شُغلك مختلف ومش مقصّر فيه.

- لأ مقصر، طالما ماقدمتش حاجة جديدة أبقى مقصّر يا أمي.

- طيب اسمعني كويس يا «حلمي»، إنت مش لازم تبقى كربونة من أبوك الله يرحمه، الداخلية كبيرة، شُوف ممكن تخدم فيها فين، ولو مالاقتش نفسك، أنا في ضهرك، استقيل وشوف نفسك في الحتة اللي تقدر تنجح فيها.

- و«وعد» مراتي!

لم تكن «وعد» تتفهم أبدًا عرقلة «حلمي مهران» في عمله؛ لذا كان دائم القلق، خاصة بعد إنجاب «وليد».

- مالكش دعوة بمراتك، وأنا في ضهرك، أنت مُختلف وشاطر بس وقتك لسة ماجاش مش أكتر، ما هو لكل وعد ميعاد يا ابني.

قالتها قبل أن ينصرف «حلمي مهران» متجهًا إلى عمله الميداني في وزارة الداخلية، ولكنه كان قد قرر تغيير مساره للتوّ، ليطلب الانتقال إلى إدارة التوثيق والمعلومات.

***

في الوقت الحاضر، ومن مكانٍ ما ليس بالبعيد، كان «المتصل» الآن قد عاد إلى تلك الغرفة البسيطة المعلّق عليها كثير من صور «حلمي مهران» وعائلته وأخباره المتخَذة من جميع صفحات التواصل الاجتماعي؛ والتي تعكس نجاحات «حلمي مهران» العملية منذ كان ضابطًا في الداخلية واستطاعته التصدي للكثير من المجرمين حين كان يعمل في إدارة التوثيق والمعلومات إلى جانب «هشام»، وحتى وصوله لمركز مرموق بين المحامين المعاصرين، كما كان هناك كثير من الصور تخص طليقته «وعد» مع زوجها «فؤاد» الناقم على «حلمي مهران»، مع اسكتشات عليها تحركاته قد طُبعت من على جوجل؛ حيث يجهل كثيرون أن تطبيق خرائط «جوجل» يُسجل بمنتهى الدقة؛ حيث يستطيع صاحب الحساب أو مَن

سرقَهُ معرفة أماكن انتقاله لسنوات ماضية في كل ساعة ودقيقة؛ الأمر الجنوني الذي يستطيع استغلاله مَن يستطيع.

كان «المتصل» بقِناعه يرمق كل تلك البراويز على مضض، ثم تحرك إلى المنضدة الموضوعة عليها جرائد مكتوبة بها حادثة البورصة الشهيرة التي استطاعت فيها الداخلية القبض على مَن حاول اختراق نظام البورصة، وإن لم يسرق منها شيئًا. التف المتصل إلى كثير من الشاشات التي كانت هناك، ومنها ما لا تزال تبث أخبار تلك الحادثة التي مرّ عليها سنوات كثيرة، ليعلق الإعلاميون ومنهم مَن قال:

«مش مهم اتسرق كام، دي مصيبة! يعني إيه فرد يلعب في أسهم بالبورصة؟!».

«دي قضية رأي عام، يجب الحُكم بأقصى العقوبة».

جلس«المتصل» يرمق باقي الشاشات حتى ظهر «حلمي مهران» الآن على إحداهن من وسط المياه مُستلقيًا على ظهره، بينما على بطنه الطفلة الرضيعة. يبتسم «المتصل» الآن وهو يقترب رامقًا المشهد مُستمتعًا، حيث كان «حلمي مهران» يرتعش مُمسكًا بعوامة سوداء وجدها إلى جوار المركب الغارق، تمسّك بها وصولًا إلى يخت «محمد ناجي».

من هناك صعد «حلمي مهران» ممسكًا بالرضيعة فوجدَ هناك ما أدهشه؛ فلقد كان هناك كثير من المناشف الجاهزة له إلى جوار «جركل» كبير للوقود!

جفّف «حلمي مهران» الرضيعة ثم أمسك «الجركل» ليُزود اليخت، قبل أن يعود أخيرًا متجهًا إلى البر حيث استقبل هذا الاتصال:

- هايل يا «حلمي»، ربنا يطمني عليك وعلى عيلتك. يلَّا بقى، ودّي البنت عند الملجأ اللي أنت عارفه!

لم يتوقع «حلمي مهران» أن يكون هناك مَن يعرف ملجأ «مفتاح الحياة»، هذا المكان الذي يرعاه في الخفاء، ولكن مَن يستطيع الولوج إلى كل تحركات «حلمي مهران» عن طريق الهاتف، يستطيع بكل سهولة معرفة الكثير والكثير عن ماضيه، الأمر الذي أقلق «حلمي مهران»، خاصة ما يُخفيه عن أعين الجميع!

- ملجأ «مفتاح الحياة»، اسمه كده.. صح؟! ما أنا مذاكر كويس، أصل بيني وبينكماينفعش تروح بيه لأبوه «فؤاد»، هيشمت فيك كتير أوي.

ظل«حلمي مهران» مُندهشًا من التفاصيل التي يعرفها «المتصل»، ليتجه إلى السيارة مُبتلًّا في تعب يتساءل عن كينونة هذا «المتصل» المجهول!

- أنت مين بقى؟!

- معقول تكون ناسيني.. صدقني، مسألة وقت وهتفتكر، أنا شخصيًّا عمري ما نسيتك.

قالها المتصل الذي كان الآن في غرفة المراقبة خلف قناعه يلف بكرسيه بحركة دائرية، وكأنه يفكر ثم يقف بقدمه المرتدية الحذاء الرياضي المميز، مُتذكرًا تلك الذكرى

الأولى التي رمق فيها «حلمي مهران»، والتي كانت من خلف الشاشة أيضًا، حين كان هذا «المتصل» يحاول اختراق شبكة البورصة بحرفيته الشديدة قبل أن يستوقفه شيء ما يجهله الجميع؛ ليخطئ «المتصل» هذا الخطأ الساذج المقصود الذي يستوقف «حلمي مهران» من خلف شاشته في إدارة التوثيق والمعلومات!

***

من استوديو المراقبة بإدارة التوثيق والمعلومات، كان «حلمي مهران» يرمق الشاشة بشيء من الدهشة وهو يراقب بعض التصرفات المريبة التي تحدث في بعض الحسابات الرسمية التابعة لشبكة البورصة المصرية، ليتوقف فجأة من هذا المكان المليء بالضباط والفنيين خلف شاشاتهم يتابعون كل ما هو غريب داخل الأراضي المصرية. منفعلًا يخرج متوجهًا إلى غرفة اللواء «محمود وهبة» الذي كان حينها رئيسه الإداري. دخل بسرعة حيث كان هناك زميلُه حينها الرائد «هشام» قبل أن ينتقل للمباحث.

- مساء الخير يا فندم.

- أهلًا يا «حلمي»، خير؟!

تساءل اللواء «محمود وهبة» بينما لم يُعلق «هشام» الذي كان دائم السخرية من «حلمي مهران» وتفاصيله التي يراها ساذجة.

- شاكِك إن في حد بيحاول يخترق حسابات مهمة في البورصة.

- البورصة مرة واحدة!

قالها «هشام» ساخرًا، ليستوقفه اللواء «محمود وهبة» مُعطيًا الإذن لـ«حلمي مهران» في متابعة بحث الأمر الذي أدى به إلى مقابلة «المتصل» وجهًا لوجه، ولكن خلف الشاشات منذ سنوات طويلة.

***

يعود «المتصل» من ذاكرته مُجيبًا «حلمي مهران»:

- لما تفتكر اسمي هتفهم، ويلَّا شِد حيلك الساعتين اللي جايين معايا.

- أنت مجنون؟!

يهز «المتصل» كرسيه موافقًا:

- صح، بس لذيذ وذكي، وصدقني أنا من القُليّلين أوي اللي أذكى منك.

لم يكن «حلمي مهران» يتقبل مثل هذا التحدي، ولكنه كان الآن لا يزال يشعر بالبرودة والبلَل، وهو داخل سيارة «خالد» جاره التي وضع فيها الرضيعة إلى جواره متجهًا إلى الملجأ قبل أن يتابع «المتصل»:

- دلوقتي بقى أنت ليك عندي ابنك «وليد» وطليقتك الحلوة اللي أنت لسة بتحبها يا «حلمي»، أصلك بتاخد وقت كتير أوي قُدام صورتها، ده مش أنا اللي باقول، ده جهاز تليفونك اللي اعترفلي بكل حاجة.

- أنا هاعرف أنت مين، وصدقني ساعتها هتدفع التمن

غالي.

- دفعته قبل كده صدقني. المهم، أنت قريب هتعرف مكانهم، بس خليك فاكر...

يتوقف «المتصل» لحظة وهو يرمق صورة لابنه، فيُكمل:

- روح قصاد روح!

قالها «المتصل» بجدية يعنيها أقلقت «حلمي مهران».

- افتح الواتساب بتاعك.

يرمق «حلمي مهران» الهاتف ليجد مشهدًا لابنه «وليد» مربوطًا داخل صندوق شحن؛ فقد كان مُقيدًا يحاول التحرك بصعوبة.

- ابنك دلوقتي مربوط في صندوق شحن.

يرمق «حلمي مهران» الفيديو ليجد هذا الونش مُعلقًا بالأعلى.

- الصندوق ده على وِنش عالي، ساعتين تلاتة بالكتير والصندوق ده هيقع، أرجوك يا «حلمي» اتصرف، لو سمحت بسرعة. نص ساعة وهابعتلك اللوكيشن، تكون اطمنت على البنوتة الصغيرة.

لقطة لوجه «حلمي مهران» الغاضب قبل أن يتحرك بالسيارة بينما كّرر «المتصل» تهديداته.

- بالمناسبة يا «حلمي»، أنا بحب الأطفال جدًّا، أرجوك ماتخلنيش أضطر أأذِيهم غصب عني. افتكر إن كل كاميرات الملجأ عندي، أرجوك فكّر كويس في كلامي،

ده لو خایف علیهم!

***



(٢)

من داخل ملجأ «مفتاح الحياة» اندهشَت المشرفة «سلوى» من هيئة «حلمي مهران» التي كانت تعكس بالطبع سرًّا خطيرًا، حاولت هي أن تكتشفه بينما لم يكن «حلمي مهران» ليخاطر مع التهديد اللاحق بابنه.

- «سلوى»، البنت دي تبقى عندك للصبح.

- دي يتيمة؟

- لأ.. إن شاء الله لأ.

قالها ثم تلعثم للحظات، ثم اتجه إلى غرفة «أمنية» قبل أن يتوقف ويعود إلى «سلوى»، ثم أخذ ورقة وكتب عليها بعض الأمور الخاصة بالرضيعة «إيمان» ووضعها في ظرف أغلقه وأعطاه إياه، ثم انصرف، وهو يرمق كاميرا المراقبة في توتر، لتظل هي ترمق هذا المظروف في فضول، ثم بالطبع اتصلت بـ«جون» العدو اللدود لـ«حلمي مهران» الذي يدفع الكثير لكل مَن يستطيع مراقبة الرجل، وقد كانت «سلوى» منهم!

صعدَ «حلمي مهران» السلالم واتجه للأعلى إلى غرفة «أمنية»، والتي كان يضع فيها الكثير من الملابس الخاصة به، وإن أخذه الحنين في البداية ليغوص للحظات داخل الغرفة شاردًا في ماضيه، قبل أن يرن هاتفه:

- اتأخرت كده ليه يا «حلمي»؟ عربيتك الجديدة جاهزة تحت وابنك مستنيك.

قالها وأنهى المكالمة، بينما أسرع «حلمي مهران» بإخراج الهاتف الآخر، وهو يُغير ملابسه، ليتصل مُسرعًا بـ«ماجي».

- «ماجي»، أنتِ فين؟

- أنا على بُعد دقيقتين منك، بس أنا مش فاهمة أي حاجة.

- خليكي حواليا، وحاولي تفتكري أي قضية اشتغلنا عليها وفيها حد اتحبس وخرج.

- إحنا قواضينا مش كتير كده، ولو في حاجة أكيد أنت هتفتكرها، أنت مابتنساش حاجة!

صدقتْ «ماجي»؛ ليتوقف «حلمي مهران» لحظة يجمع قُواه، قبل أن يُقرر الاتصال بصديقه المخلص «هشام» وزميله في رحلته الماضية قبل حادث ٣١ أكتوبر الذي غيَّر حياته؛ تلك الفترة التي لا تزال مشوشة في عقل «حلمي مهران»، ليستجيب «هشام» من فوره:

- سلاحك معاك يا «حلمي»؟

- باقولك معاه ابني يا «هشام»، أنا لازم أمشي، وزَي ما قولتلك حاول تفتكر مين اشتغلنا عليه زمان وخرج من السجن.

- دول كتير أوي يا «حلمي».

- حاول ضروري يا «هشام».

قالها «حلمي مهران» ونزل مهرولًا وقد غيَّر ملابسه ليُحيّي «سلوى» ويغادر إلى الخارج؛ حيث وجد سيارة «خالد»

قد ذهبت بينما وُضِعت سيارة أخرى رباعية، قبل أن يستقبل الاتصال:

- العربية دي بتاعتي، وزي ما وعدتك كل حاجة هتحتاجها هتلاقيها فيها.

يبحث «حلمي مهران» داخل السيارة ليجد حقيبة يفتحها فيجد بعض الأشياء الغريبة؛ منها دُمية على شكل رجل آليّ غريب، أمسكها مُتعجبًا ليلاحظ تماثلها مع كثير من الدُّمى الموجودة داخل السيارة للتوّ، ومنها ملعقة على المرآة وأخرى على التابلوه، خلاف المربوطة على الأريكة. تعجّب للحظة قبل أن يجد سماعة للأذن.

- وأهم حاجة السماعة دي، يا ريت ماتفارقش ودنك، ما هو من دلوقتي هيبقى بينّا خط مفتوح يا «حلمي».

يضعها «حلمي مهران» في أذنه؛ فيجدها بالفعل موصلة بالهاتف، ليعلو الآن صوت «المتصل» علوًّا طفيفًا.

- شوفت الصوت كده أوضح إزاي!

يُكمل «حلمي مهران» البحث؛ فيجد سلاحه في الداخل، فيُمسكه مندهشًا.

- خلي بالك من سلاحك يا باشا، ويلّا اطلع على الطريق، وخليك فاكر، روح قصاد روح!

- روح مين؟ أنت لو أذيت حد هاقتلك.

يضحك «المتصل» الذي لم يعُد في غرفة المراقبة، بل في مكان آخر وهو يُمسك بالهاتف يراقب «حلمي مهران».

- أنت موّتني فعلًا قبل كده، بس أنت اللي ناسي.

- أنت أخدت السلاح منين؟!

- من دولابك.

يظهر «المتصل» من داخل منزل «حلمي مهران»، الآن، فيأخذ علكة من علبة موضوعة على تلك المنضدة.

- هو أنا ماقولتلكش إني في بيتك يا «حلمي»، إخص عليَّ.

يصرخ «حلمي مهران» في جنون:

- إزاي؟

- إيه يا «حلمي» في إيه؟! أنا أخدت المفتاح من المدام.. قصدي طليقتك، هو أنت سايب معاها نسخة ليه، وبعدين أنت إيه اللي مزعّلك، ما أنا صاحب بيت يا أخي، ده أنا لسة جايبلك ابنك يا «حلمي»!

يتحرك «المتصل» إلى الثلاجة بظهره وهو يرتدي غطاء رأسه، ليُتابع بعصبية:

- إيه ده يا «حلمي»! التلاجة فاضية ليه؟!

يعود إلى هدوئه بجنون يقول:

- صحيح.. أنا ماقولتلكش إني جاي، أنا آسف، حقك عليَّ، المهم، بلاش تضييع الوقت.

يعود في لحظة إلى الجدية:

- يلَّا بقى بسرعة روح على اللوكيشن اللي بعتهولك.

يرمق «حلمي مهران» اللوكيشن على هاتفه، ليبدأ التحرك.

- على فين؟

- أنت مش عايز تشوف ابنك، هتروح تجيب مفتاح الونش اللي هو فيه، ما هو أنا مش هاعملك كل حاجة بنفسي يا «حلمي».

قالها «المتصل» وهو يخرج من منزل «حلمي مهران» واضعًا غطاء الرأس على رأسه.

- هتلاقي المفتاح هناك في اليخت، يلَّا سلام مؤقت، ومش محتاج أفكرك بلاش تتشاقى، لو عايز تشوف القمرات، وأنا هابعتلك فيديوهات ليهم علشان لو نسيت تفتكر.

يسمع «حلمي مهران» صوت استقبال رسالة، ليجد صورة لابنه داخل الصندوق مثبتًا عليه كاميرا «جو برو»، ثم لقطات خارجية للرافعة بجانب منشأ تحت التنفيذ، ومن ثَمَّ لقطات لـ«وعد» موضوعة على لسان داخل المياه بينما ملفوف حول خصرها حزام ناسف.

- أرجوك تلحقهم، لو ركّزت هتقدر تنقذهم، ماتخافش أنا مش هاعجّزك، أنا نفسي إنهم يعيشوا، بس خلي بالك مش هازعل لو اتوجعت وجعي، ما هي روح قصاد روح.

قالها لينفعل «حلمي مهران» ويُلقي بالهاتف عند الدواسة، قبل أن يعود لرشده ويجلبه، ليتهكم «المتصل»:

- شاطر يا «حلمي» بلاش تهوّر، وطبعًا أنت عارف إني

مراقبك من الكاميرا اللي على يمينك.

يرمق «حلمي مهران» الكاميرا الموضوعة داخل السيارة فيفهم، ثم يبدأ «المتصل» يُكرر كلامه؛ فيشعر «حلمي مهران» لجأة بقلة حيلته و«المتصل» يقول:

- مش الكاميرا دي بس، الكاميرا اللي في الشارع، والكاميرا اللي في الإشارة، والكاميرا اللي في تليفونك، والكاميرا اللي في التليفون اللي جنبك.

يظل «حلمي مهران» يرمق تلك الكاميرات التي صارت منتشرةً في كل مكان، بينما يتابع «المتصل»:

- باختصار، زي ما مراقب حياتك كلها طبعًا، ما هي دي شغلتي. أنت بس اللي ماكنتش شايفني.

سكت لحظة ثم قالها حرفيًّا:

- يا «حلمي» أنا «السحاب»!

يقولها ويُغلق الهاتف لنسمع صوت انقطاع الإرسال، ثم في يأس يشغل «حلمي مهران» الخريطة على شاشة السيارة؛ حيث ظهر له الموقع على بُعد عشر دقائق فيتحرك مسرعًا.

***

من مكان آخر كان هناك هذا المأجور ينتظر الأوامر الجديدة داخل منزله، خلف شاشة حاسوبه، حتى وجد تلك المهمة الجديدة التي وصلت إليه هو فقط دون غيره، فابتسم عندما قرأها؛ فقد كان محترفًا سريعًا لا يستطيع أن يغلبه الكثيرون، فوافق على المهمة وانتظر تحويل الأموال

على حسابه الشخصي، في نفس اللحظة التي يرن فيها جرس باب منزله، فتوقف متلهفًا وتوجّه إلى الباب وفتحه فلم يجد أي شخص هناك؛ فقط هذا القناع الموضوع على الأرض، ليجثو على ركبتيه ويُمسكه ويجد في داخله مفاتيح تلك السيارة الرياضية التي وجدها مُصطفة أمام منزله للتو.

***

من السيارة كان «حلمي مهران» يتحرك في توتر قبل أن يرن الآن هاتفه الآخر في جيبه، حيث كانت «ماجي» تتصل، ليحاول أن يتحسس الهاتف ليغلقه وهو يرمق الكاميرا، قبل أن يجد اتصالًا آخر من «المتصل» فيُجيبه من سماعة أذنه.

- إيه ده يا «حلمي»، مين بيتصل بيك؟! أنا مش ظاهر لي اتصال ليه؟!

قالها «المتصل» من غرفة المراقبة:

- هو أنت بتغش يا أبو «حلمي»؟!

من السيارة يحاول «حلمي مهران» التنصُّل من شك «المتصل»:

- مفيش حد بيتصل، مش أنت بتاع التكنولوجيا كلها؟!

- إوعى تزعلني منك يا «حلمي»، وفي يوم زي ده! دا النهارده يومنا يا «حلمي »، أنت بس اللي ناسيه.

- هو النهارده إيه؟

تساءل «حلمي مهران» لكي يُنسي «المتصل» اتصال

«ماجي».

- مش مهم دلوقتي يا «حلمي»، المهم ماتكونش بتغش، لأحسن تمن الغش الموت.

- هاغش بمين بس؟!

- «ماجي» مثلًا!

قالها «المتصل» في ثقة زادت من قلق «حلمي مهران».

- أنت تعرف «ماجي» منين؟!

- أنا أعرف عنك كل حاجة يا «حلمي»، بس واضح إنك لسة مش قادر تستوعب، أنت حياتك حرفيًّا في إيدي، بس أنت مش هتصدقني غير لما تفتكرني.

يظهر التوتر على «حلمي مهران» وهو يُراقب الكاميرا عن يمينه، وخوفه من اتصال «ماجي».

- لما تفتكرني هتعرف أنت غلطت فيها إزاي!

- أنا ما باغلطش.

في تكبُّر قالها «حلمي مهران» ليُجيبه «المتصل» في ثقة:

- تراهنني؟

يقاطع «المتصل» اتصالٌ آخر من «ماجي»، ليتعرق «حلمي مهران» وهو يرفض المكالمة بنفس الطريقة:

- مش وقت كلام.

- طب بمناسبة «ماجي»، أنت ماتجوزتهاش ليه، ما البنت بتحبك؟!

بحرقة يتعصب «حلمي مهران»:

- أنت ماتعرفش عني حاجة.

- ده رأيك أنت يا «حلمي»، بس «ماجي» بتحبك.. ده مش كلامي، دي رسايلها ليك، تحب أسمعهالك؟! ما أنا راكب تليفونك، وده عرّى قُدامي كل حياتك.

- قلتلك أنت ماتعرفش حاجة!

- لا أنا عارف كل حاجة، بس يمكن مش قادر أفهمك، يعني لما باقرأ رسايل «ماجي» ليك باتأكد إنها بتحبك، ولما باقرأ رسايلك لـ«وعد» باتأكد إنك بتحبها، بس برضه من اللي أنا شوفته من تصرفاتك، أنا عارف إنك لسة مانسيتش «أمنية».. إيه يا فالنتينو ما تفهّمني حاجة.

ظل «حلمي مهران» صامتًا بينما عاودت «ماجي» الاتصال، ليسأله «المتصل»:

- «حلمي».. أنت معاك تليفون تاني؟

يتعرق «حلمي مهران» متوترًا وهو يرمق الطريق؛ حيث يجد بلاعة دون غطاء تحت أعمال الصيانة.

- هو مين فينا اللي بيلعب بالتاني؟

تساءل «المتصل» بينما أسرع «حلمي مهران» ناحية البلّاعة التي أصدرت صوتًا مُدويًا في تشتيت واضح لـ«المتصل» وهروبًا من إجابته، وعندما توقفت السيارة ترجّل منها، ليظهر «للمتصل» من عند كاميرا إشارة المرور.

- مش تفتّح يا «حلمي»! عمومًا فداك.

علق «المتصل» بينما ظل «حلمي مهران» يرمق إطار السيارة المقطوع.

- ماتخافش، كاوتش عربيتك ممكن يتمشي بيه كده شوية، المشوار مابقاش بعيد.

قالها «المتصل» من عند غرفة المراقبة، وهو يرمق الشاشة التي تُظهر «حلمي مهران» من خلال كاميرا الإشارة.

- ماتضيّعش وقت يا «حلمي» يلَّا علشان تلحق عيلتك، مش عايزك تشيلني أنا كمان ذنبهم.

يتوقف «حلمي مهران» مُستسلمًا وهو يرمق كاميرا الإشارة، ثم يعود إلى السيارة التي قادها بصعوبة؛ حيث بدأت تتحرك بشكل غير متوازن نظرًا للإطار التالف، حتى وصل إلى شارع سكنيّ هادئ يبتعد عن النيل.

- حَمْد الله على السلامة، يلَّا هات المفتاح وطمني، لازم تلحق ابنك مفيش وقت، اللعبة بتسخن.

قالها «المتصل»، فترجّل «حلمي مهران» من سيارته، لبحث عن هذا اليخت مُندهشًا؛ فلقد كان قد ابتعد عن النيل.

- هوّ فين اليخت ده؟

تساءل «حلمي مهران» بينما أنهى «المتصل» المكالمة هروبًا من الإجابة ليعتمد على ذكاء ضحيته، فزاد توتر «حلمي مهران» الذي لم يعُد يعرف ماذا يفعل، فعاد متجهًا إلى سيارته في ضيق يحاول التحرك في الشوارع بحثًا عن

شيء ما يستطيع تحديد ضالته منها، ولكن دون فائدة؛ فعاد إلى نفس النقطة ثم توقف وأخذ سلاحه وترجّل، وهو لا يزال يحاول الاتصال بـ«المتصل» دون فائدة. حتى سمع رنين الهاتف فوجدها «ماجي»، فابتعد عن السيارة، وأجاب من هاتفه الآخر.

- يا «حلمي» ما تطمني أنا مش فاهمة حاجة.

- أنتِ بتهرجي يا «ماجي».. واضح إني ما كانش المفروض أبعتلك!

- وهو أنا صغيرة يا «حلمي»، ما أنا زيي زيك على فكرة، بس أنا كنت محتاجة أطمن عليك.

- مش وقت الكلام ده، «هشام» وصل لحاجة؟

- «هشام» نزل جايلنا.

- مش مهم ييجي، المهم يعرفلي مين الكلب ده!

- طيب ما تدينا أي خيط نبتدي منه.

يسكت «حلمي مهران» لحظة ثم يتذكر حديث الرجل فيبتسم قائلًا:

- خلي «هشام» يدوّر في أي قضية ليها علاقة بتاريخ النهارده.

***

(٣)

في أحد أيام سنة ٢٠١٤ عاد الرجلُ مُنهكًا إلى منزله مُمسِكًا بلعبة بسيطة، وعلبة تحتوي بعض الحلوى؛ ومنها نوع العلكة التي يُفضلها الابن؛ حيث كان يمضغها ماصًّا كل ما فيها من سُكّر ثم يُلقيها ليأخذ غيرها كعادته. فتح الأب باب المنزل فاستقبله الابن خاطفًا علبة الحلوى، قبل أن تظهر الزوجة «درية» لتحتضن زوجها بحرارةٍ كان ينتظرها، فشعرت بما فيه من فرحة، فدخل وجلس يقص عليها نجاحه الأوَّل، بعدما قبلَ أحد رجال الأعمال المشهورين تعيينه في الشركة ساندًا إليه الكثير من المهام الإلكترونية التي يُبدع فيها هو عن غيره. كافأته الزوجة بقُبلة على خده، حيث كانت هي جيشه الوحيد، فلقد كان زوجها غريب الأطوار مثله مثل «حلمي مهران» في طفولته، ولكنه ظل وما زال كما هو؛ هذا «المتصل» غريب الأطوار.

***

أنهى «حلمي مهران» الاتصال حين رمق هذا المطعم الذي يضع لافتة على شكل مركب غريب، فاقترب منه في شك ليتأكد من ظنه؛ حيث كانت إضاءة اللافتة مُطفأة. ابتسم «حلمي مهران» فور تأكد حدسه؛ فلقد كان المطعم مُسمى بمطعم «اليخت». اقترب «حلمي مهران» أكثر من خارج المطعم الذي بدا له مُغلقًا وحاول فتحه بأي طريقة دون فائدة، قبل أن تلفت انتباهه لمبة وحيدة

مُضاءة داخل المكان أعلى منضدة وُضِعت عليها دُمية على شكل رجل آليّ غريب!

حاول «حلمي مهران» مِرارًا فتح الباب قبل أن يرمق طوبة كبيرة ملقاة على الأرض موضوعًا عليها ورقة ما؛ فأسرِع ليُمسكها ليجد عليها رسمة جمجمة إلكترونية غريبة وكُتِب تحتها:

«الغاية تُبرر الوسيلة».

تفهّم «حلمي مهران» الرسالة، وأمسك الطوبة رامقًا الشارع الخالي، ثم كسر الزجاج مُصدِرًا صوتًا مدويًّا؛ فدخل بسرعة في ترقُّب ثم توجه إلى الدمية الغريبة التي تشبه «المتصل» وبجانبها علبة علكة إلى جانبها هاتف آخر، اقترب منها ليسمع فجأة صوت «المتصل»:

- برافو يا «حلمي».

ينتفض «حلمي مهران» مفزوعًا قبل أن تُضيء من جانبه شاشة تليفزيونية عليها صورة «المتصل» بقناعه المميز الذي يُشاهده «حلمي مهران» للمرة الأولى بهذا الوضوح، يتحدث له في تسجيل عبر الشاشة يقول فيه:

«طالما وصلت لغاية هنا يا «حلمي»، يبقى الحلاوة بتاعتك بقى علبة اللبان دي. بس خلي بالك علشان اللبان الكتير بيرفع السُّكّر يا صاحبي، وخُد بقى التليفون اللي عندك، علشان هاتصل بيك عليه، وماتخافش السماعة اللي معاك برضة شغالة عليه، وسيب بقى تليفونك علشان شاكِك إنك بتلعب بديلك. المهم بقى دوّر على المفاتيح علشان تلحق

ابنك»».

ترك «حلمي مهران» هاتفه، ولكن وهو يُغلقه ضغط على زر الأمان الذي يرسل رسالة نصية بموقعه إلى «هشام» و«ماجي»، ثم أمسك الهاتف الموضوع إلى جانب التليفون الذي رنّ للتو فيُجيبه في غضب:

- أنت كنت فين؟

ابتسم «المتصل» ليُجيب بتوبيخ قائلًا:

- كنت باربّيك!

- أنا اللي هاربّيك أول ما أعرف أنت مين، وده هيحصل وقريب أوي.

- مُتكبر أنت أوي يا «حلمي»، بس أعمى معزول عن العالم اللي حواليك، علشان كده كبرياءك ظاهر في لحظة المفروض تتكسر فيها.

- أنا مااتخلقش اللي يكسرني.

- طب ما تيجي نشوف.

يظهر التوتر على «حلمي مهران» بينما يُكمل «المتصل»:

- هتسيب دلوقتي تليفونك هنا، علشان ماتلعبش بديلك وناس تانية تتضر.

يقولها «المتصل» ويغلق الهاتف، بينما يترك «حلمي مهران» هاتفه وهو يرمق الكاميرات الموضوعة هناك، قبل أن يلفت انتباهه صوت تلك السيارة التي تتحرك في الخارج من جانب سيارته. عاد ليقف عند مدخل المطعم فوجد

تلك السيارة بجانب سيارته، بينما صاحب القناع الآلي هناك كان قد أنهى بنفسه تغيير إطار سيارة «حلمي مهران» الذي اندهش وخرج ليتبعه، إلا أنه أسرع إلى سيارته وتحرك، فقرر «حلمي مهران» مطاردته، ولكنه تذكّر المفاتيح، فأسرع إلى الداخل يبحث عنها، ولكن دون فائدة، لتبدأ الشاشة في بثٍّ آخر يظهر فيه ابنه مع عدّ تنازلي لموته فاستمر «حلمي مهران» في بحثه، حتى رمق تلك الدمية وأمسك بها هازًّا إياها حتى سمع صوت شيء ما، ففتح تلك الدمية قاطعًا إياها إربًا حتى صارت مجرد أجزاء تالفة، ولكنه استطاع إيجاد ضالته، حيث كان المفتاح في الداخل بالفعل، فأمسك به فرحًا قبل أن تُفتح تلقائيًّا للتو مرة أخرى شاشة تلفاز ليظهر «المتصل» بقناعه:

- الحق يا «حلمي» عندنا مشكلة، أنا لَقيت ده.

يقترب «حلمي مهران» من الشاشة في قلق، ليجد تصويرًا لـ«المتصل» ومن خلفه سيارة «ماجي».

- مالكش دعوة بيها، هي مالهاش ذنب.

يقولها «حلمي مهران» صارخًا، وهو ينظر إلى الكاميرا بالمطعم.

- طيب جبتها ليه يا «حلمي»؟

تساءل «المتصل» مُعلنًا فرضه للسيطرة:

- صدقني مش هتتكرر.

- ما أنا عارف إنها مش هتتكرر تاني، ما هو ماحدش

يشوف اتنين من حبايبه بيموتوا بسببه في نفس الليلة يا «حلمي»!

- لأ.

يقولها «حلمي مهران» صارخًا، قبل أن يبتسم «المتصل» من الشاشة متهكمًا:

- إجابة خاطئة.

يقولها «المتصل» قبل أن يسمع «حلمي مهران» صوت إطلاق النيران بصدًى كاد أن يصمّ أُذنيه، ليقع على ركبتيه للحظات، يضغط فيها بيده على أذنيه من هول الصوت والصدمة، بينما يستعرض «المتصل» مشهد مقتل «ماجي» من أمام ناظريه، لينتهي معه كثير من ذكريات «حلمي مهران» التي ظلت تطارده للتوّ في خياله.

***

من الجزيرة البعيدة التي عاش فيها «حلمي مهران» التجربة منذ ثمانية أشهر يجد نفسه الآن هناك مُستلقيًا على الشاطئ ووجهه بين الرمال، بينما تبدأ المياه الوصول لقدميه، فيستفيق الآن شيئًا فشيئًا. داخل تلك الرؤية يلتفت ناحية المياه فيجد «ماجي» هناك مُتوقفة أمامه. يقف «حلمي مهران» مُسرعًا:

- «ماجي»، حصلك حاجة؟

تندهش «ماجي» مُشيرة إلى هذا الطلق الناري في رأسها، ليتأكد «حلمي مهران» من أوهامه. يلتف حول

نفسه مُستكشفًا المكان بعدما تأكد أنه حلم.

- الجزيرة دي هتفضل جواك، وفيها كل ضحاياك يا «حلمي».

قالتها «ماجي» بقسوة، فاقترب «حلمي مهران» منها:

- ماكانش لازم تربطي نفسك بيّا!

- أنت هتطلعني أنا الغلطانة!

- قُلتلك تستني من بعيد.

- ماقدرتش.

- ليه؟!

- علشان حبّيتك يا «حلمي»!

قالتها صادقة قبل أن تُكررها مرة أخرى:

- كلنا حبّيناك يا «حلمي»، ما هو اللي زيّك لازم يتحب.

يلتفت «حلمي مهران» الذي ميّز صوت «أمنية» من خلفه، ولكنه لم يجدها.

- «أمنية»!

لم يجدها «حلمي مهران» فالتف مرة أخرى؛ فوجد «ماجي» قد اختفت بدورها، حيث كانت الآن قد توجّهت إلى البحر، تتحرك عكس الأمواج ناحية المجهول، تُغطي المياه مع كل خطوة جزءًا أكبر من جسدها، حتى لم يعُد هناك إلا رأسها.

- مخاوفك كلها هنا يا «حلمي»، واضح إن تجربتي

نجحت.

مرة أخرى يلتفت «حلمي مهران» ليجدها الدكتورة «هدى الحكيم» تتحدث إليه من داخل عُمق الجزيرة.

***

يعود «حلمي مهران» من رؤيته الآن، وقد أدرك مقتل «ماجي» بسببه فيبدأ الصراخ قبل أن تُضاء إضاءة المطعم كله مع انطلاق صوت الإنذار، ليظهر «المتصل» على الشاشة التي كان يرمقها «حلمي مهران» مرة أخرى ليتابع:

- أهدى يا «حلمي». وخلي بالك، البوليس والأمن على وصول، ولو اتمسكت عقبال ما تشرحلهم بقى، مش هتلحق «وليد»، وبلاش الباب الأمامي لأحسن الكلاب اللي مع الأمن ما كلتش من إمبارح.

أسرع «حلمي مهران» إلى الباب الأمامي؛ ليجد بالفعل كلاب الحراسة يقتربون منه، يمسكهم رجل ذو القناع الآلي الذي يرتديه «المتصل»:

- ما قولتلك في كلاب!

قالها «المتصل» ساخرًا، ليُسرع «حلمي مهران» إلى الداخل بحثًا عن الباب الخلفي، بينما من خلفه الكلاب كانت قد دخلت المطعم بالفعل، وكان «المتصل» على الشاشة يُكمل حديثه:

- هو أنا ها كدب عليك. ده أنا جايبلك الكلاب بنفسي!

يجد «حلمي مهران» الباب الخلفي فيهرع منه إلى الخارج

مُغلِقًا الباب خلفه، حيث وصلت الكلاب بالفعل، بينما ظل صاحب القناع يقترب بهدوء حتى وصل إلى الباب وفتحه لكلابه التي بدأت مطاردتها لـ«حلمي مهران» مستمتعة. يقفز الأخير بلياقة من السور الخلفي للمطعم إلى الشارع فتقف الكلاب عاجزة، حتى وصول صاحب القناع الذي كان يمتلك بالفعل مفتاح السور الخلفي ففتح بابه لتلك الكلاب الجائعة التي استمرت في مطاردته.

أخرج «حلمي مهران» يائسًا سلاحه الذي لم يكن يفُضل استخدامه حتى اضطر فأطلق عيارًا ناريًّا في الهواء. توقف الرجل ذو القناع من فوره، مثل بعض الكلاب، إلا أن منهم من استمر حيث كان هذا الكلب من نوع «البولدوج» المشهورة بإصرارها، حتى إن الله قد جعل أنفها قصيرًا فتستطيع إمساك ضحيتها بفمها دون الحاجة لتركه لتتنفس. هذا الأمر الذي جعل الإنجليز يُشبهون إصرار «تشرشل» بفصيلة تلك الكلاب، نظرًا لإصراره في الحرب العالمية الثانية. يئس «حلمي مهران» وقفز مُعتليًا سقف إحدى السيارات، بينما من بعيد ظل يرمقه صاحب القناع.

- عارف يا «حلمي»، أنا في السجن كنت باهرب دايمًا من الكلاب المسعورة. كنت بافضّل الحبس الانفرادي عنهم.

***

من داخل زنزانة للحبس الانفرادي داخل السجن كان «المتصل» هناك واضعًا رأسه بين رجليه، لا تظهر ملامحه،

بينما هو يرسم شيئًا على الأرض، ممسكًا بعلبة العلكة التي لم تفارقه حتى في السجن، أخذ منها قطعة ماصًّا سُكرها، وهو يُكمل الرسم لجمجمة رجل آليّ، فلقد كان الرجل انطوائيًّا إلى أبعد الحدود، كان يهرب دائمًا وأبدًا من مخالطة الجميع، وبخاصة سكان السجن، الذي كان منهم المسعورون تجاه الرجال الذين يشبهون «المتصل» في استسلامه، الأمر الذي جعلته يُفضل هذا الحبس والعُزلة عن الاختلاط بهم، خوفًا على شرف كبريائه، وإن ظل «المتصل» حينها يتذكّر ما فقدَ وسببه، فنقش اسم «حلمي مهران» على الأرض!

***

- أنا عايزك تحس الإحساس ده النهارده يا «حلمي»، تحس إنك لوحدك معزول عن العالم.. والكلاب اللي فيه!

يستمع «حلمي مهران» لصوت «المتصل» في سماعته، بينما اقترب الكلب ليفتك به، فقرر «حلمي» الدفاع عن نفسه ووجّه سلاحه ناحية الكلب مُقررًا قتله، ليستشعر الكلب للتو رائحة «حلمي مهران» الخالية من الخوف، فهابَه. كان حال «حلمي مهران» الآن نفس حاله بعد عودته من الموت، لا يهابه، بل فقط يهاب التنصُّل من إنسانيته، توقف الكلب عن النباح، بل وشعر بضآلته للحظة أمام عزيمة «حلمي مهران» الذي كان إصراره للوصول إلى ابنه أعظم من إصرار «تشرشل» على الفوز بالحرب.

اندهش «المتصل» من خذلان كلابه، بينما ترجّل «حلمي مهران» في ترقب وتوجه إلى متجر للبقالة ودخله مغلقًا بابه الحديدي خلفه.

- أنت بتعمل إيه يا عم؟!

قالها «البقال» وهو يحمل سكينًا؛ فالتف إليه «حلمي مهران» مُشهرًا سلاحه للرجل الذي أوقع السكين من فوره، رافعًا يده.

أخرج «حلمي مهران» هاتفه الآخر الذي خبأه عن «المتصل» واتصل بـ«هشام» والعرَق يغمره:

- «هشام»، وصلت لحاجة؟

- أيوة يا «حلمي»، أنت صح، في قضية اتحكم فيها من تسع سنين بتاريخ النهارده.

- قضية إيه؟

قالها في انكسار؛ فلم تكن ذاكرة «حلمي مهران» قبل حادث ٣١ أكتوبر الشهير كما هي الأن بعد هذا الحادث تجسد بوضوح ما تُصوّره.

- قضية البورصة يا «حلمي».

لم يسمع «حلمي مهران» ما قاله «هشام» للتوّ؛ حيث حدث تشويش على الهاتف، فابتعد ناحية الباب، ليبتعد البقال عن ناظريه، قبل أن يعاود الاتصال.

- هذا الرقم ربما يكون مُغلقًا أو خارج نطاق الخدمة.

قالها الآن «المتصل» الذي استطاع قطع الاتصال عن «حلمي مهران»!

- لسة بتغش يا «حلمي»، ده أنت مُصر تخسر كل

حبايبك.

لم يُجب «حلمي مهران»، فتابع «المتصل»:

- أنت تعبتني أوي لغاية ما شوفت الخط ده، تقدر بقى يا بطل تسيب الخط ده مع البقال اللي عندك.

في تلك اللحظة تذكّر «حلمي مهران» صاحبَ المتجر؛ فوجده قد ارتدى قناع «المتصل»!

***

حاول «هشام» مرارًا الاتصال بـ«حلمي مهران» ولكن دون جدوى، ليظل هو يُتابع تلك القضية الغريبة، فلقد حُكِمَ فيها على الجاني «طاهر العلايلي» بالسجن خمسة عشر عامًا، فكيف له أن يكون خارج حدود السجن؟! ظل يُتابع أسرار تلك القضية مُتصلًا بالسجن؛ ليتأكد إذا كان «طاهر» قد هرب أو خرج لحُسن سِير سلوكه.

***

(٤)

من سيارته الرياضية كان «المتصل» يُمسك مقود السيارة بقفازه الأحمر، يتحدث إلى «حلمي مهران» الذي خرج من المحل منذ لحظات عائدًا إلى سيارته مُمتثلًا لأوامر «المتصل».

- أنت فين يا «حلمي»، ماتقلقنيش عليك، أنا أخدت الكلاب خلاص، إيه رأيك أدخلّك ابنك على التليفون.

ينفعل «حلمي مهران» قبل أن يسمع للتو صوت ابنه «وليد»:

- بابا، أنا هاموت.. الحقني.

تتغيّر ملامح «حلمي مهران» الذي بدأ يُسرع بخطواته:

- ماتخافش يا «وليد»، أنا جاي علشانك.

يقطع «المتصل» الاتصال.

- معلش، أنا مُضطر أقطع اللحظة السعيدة دي، لأحسن البوليس على وصول.

من جانب مطعم «اليخت» يعلو صوت سارينة الشرطة.

- «وليد» فين؟ انطق.

- هاودّيك ماتخافش، بس علشان تعرف لازم ترجع تاخد عربيتك وتلحقني.

قالها «المتصل» من سيارته الرياضية وهو يضغط على البنزين واضعًا قدمه الأخرى على الدبرياج؛ ليتصاعد صوت

السيارة دون أي حركة مُستفزًا «حلمي مهران» الذي رمقه فبدأ يسرع تجاهه.

- خلي بالك أنا من أسرع سواقين بلدك. يلّا يا بطل ورّيني شطارتك، أنا في العربية اللي قدام عربيتك اللي صلحتهالك بنفسي. مستنيك.. لو عايز تشوف ابنك.

من خلف «حلمي مهران» تقترب إضاءة السارينة بلونيّها الأحمر والأزرق.

***

من سيارته كان «هشام» الآن يتابع مكان «حلمي مهران» هو الآخر الذي أرسله إليه عندما أغلق الهاتف، حيث يتحدث إلى أحد رجاله من مصلحة السجون، بينما تظهر عليه الصدمة للتوّ:

- يعني إيه اللي أنت بتقوله ده.. إزاي؟! أنت متأكد؟!

ظل «هشام» مندهشًا يكرر:

- متأكد إن الخبر ده يخص «طاهر العلايلي»؟! طب أقفل دلوقتي بسرعة.

يقولها ويغلق الهاتف، يحاول تكرار اتصاله بـ«حلمي مهران» دون فائدة، فيجرب الاتصال بـ«ماجي» ليتألم عندما يسمع ما لم يكن يتوقعه!

***

من سيارة «حلمي مهران» الرباعية الثقيلة التي يقودها الآن خلف سيارة «المتصل» الرياضية، ظل يتحدث إليه

ماضغًا علكته المفضلة:

- أنت ليه مارضيتش تتجوز «ماجي» يا «حلمي»؟

تألم «حلمي مهران»، ليتابع «المتصل»:

- رُد عليَّ يا صاحبي، نتسلى لغاية ما نوصل.

قالها «المتصل» الذي كان يتقدم «حلمي مهران» الذي يحاول أن يلحقه بصعوبة بسيارته الثقيلة:

- أنا مش بتاع تسالي.

- أمال أنت بتاع إيه يا «حلمي»؟

لم يُجبه، فأسرع «المتصل» مُشعرًا «حلمي مهران» بعجزه، إلا أن «حلمي مهران» كان ذكيًّا بحيث يستطيع اختصار بعض الطرق.

- مُبهر أنت يا «حلمي» برضه! بس خلاص رُوحك بقيت في إيدي.

- أنا عايز أفهم أنت عايز توصل لإيه؟

- عايز أربيك زي ما قلتلك، ما هي روح قصاد روح!

- روح مين دي اللي راحت، أنا عمري ما ظلمت حد.

- لأ ظلمتني، وظلمت ابني!

***

عاد «طاهر العلايلي» يومًا من عمله إلى المنزل حاملًا الحلوى التي يعشقها ابنه كعادته. فتح الباب ودخل في انتظار لهفة ابنه، ولكنه لم يكن هناك، فلقد كان ابنه

مريضًا منذ فترة يجهل والداه سبب مرضه، أما في ذلك اليوم، فلقد عرفت «درية» زوجته الحقيقة، الأمر الذي لاحظه «طاهر» عند مقابلتها، فلقد كانت باردة. نظر في عينيها متسائلًا:

- ابننا ماله؟! حصل حاجة؟

- ما تخافش.

كاذبة قالتها، فلقد كان «طاهر» بمثابة ابنها الأكبر:

- أمال في إيه؟

- الدكتور بس بلغني أنه طلع مريض سُكر.

قالتها دامعة، فلقد عرفت الطريق الذي سيمشيه ابنها منذ الصغر، وإن لم تكن نهاية العالم حينها، ولكنها حقيقة قاسية لكل مَن هُم في مثل سنه.

أمسك «طاهر» بعلبة العلكة ضامًّا إياها في حزن، قبل أن تهرب من عينه دمعة عجز صافية.

***

من سيارة «حلمي مهران» يظهر وقد فاضَ به الكيل؛ ليضغط على دواسة البنزين بقوة فيصدم سيارة «المتصل» من الخلف.

- إيه الجرأة في السواقة دي؟! وبعدين أنا بافهم منك بس يا «حلمي»، «ماجي» كانت بتحبك بجد، أكتر أكيد من «وعد» طليقتك، ليه بقى التردد ده؟! عمومًا أنا ريحتك منها، وفَضِّيتلَك سكة مع «وعد»، ولو قدرت تلحقها

النهارده، هتبقى الفارس الشجاع، وأكيد ساعتها هتسيب «فؤاد» علشانك.

- اخرس بقى!

قالها «حلمي مهران» الذي وصل إلى سيارة «المتصل» مرة أخرى ليصدمه من الخلف، قبل أن تخطر له فكرة، حيث كانا في شارع ضيق نسبيًّا، فابتسم «حلمي مهران» وقد أخذ بالمقود إلى اليمين، ليصدم بعض السيارات المصفوفة التي أصدر بعضُها صوت الإنذار للتوّ.

- أنت بتعمل إيه يا «حلمي»؟

قالها المتصل، بينما علا صوت الإنذار بالفعل ليسمعه كل سكان المنطقة وخصوصًا في مثل هذا الوقت، ومنهم رجال الشرطة الذين كانوا عند مطعم «اليخت» الآن، وعلى رأسهم المقدم «هشام» الذي وصل للتوّ ليستعلِم عن الأحداث، قبل أن ينتبه إلى ما يفعله صديقه من على بُعد عدة أمتار.

- معلش مش واخد على سواقة العربيات!

كاذبًا قالها «حلمي مهران» ليُصدقه «المتصل» متابعًا:

- ما أنت طايش وبتاع موتوسيكلات يا «حلمي».

- مش طيش، دي حرية.

علق «حلمي مهران» وهو يصدم سيارات أخرى، ليبدأ «المتصل» في الشك ويبتعد عن الطرق الضيقة.

- لأ إحنا كده نبعد عن المنطقة دي أحسن.

يقولها وهو يضغط على دواسة البنزين، فيبتعد عن «حلمي مهران» الذي يضطر أن يترك خطته ويتبعه، ولكنه لا يستطيع، فيغيب «المتصل» عن أنظاره:

- شوفت بقى أنا زعلي وحش إزاي؟

توتر «حلمي مهران» وهو يبحث عن السيارة في قلق، بينما يتابع «المتصل»:

- دوَّر كويس يا «حلمي»، مش هارجعلك تاني، وابنك مش هيستنا كتير.

أغمض «حلمي مهران» عينيه للتوّ يحاول إدراك الطريق، مُستغلًّا كل خواصه الإدراكية المختلفة، وبدأ يتبع حدسه حتى سمع صوت فتح باب جراج قريب، فأسرع إلى المكان فوجد «المتصل» بالفعل هناك يُغلق من خلفه باب الجراج.

***

من عند السيارات المصدومة في الشارع كان «هشام» هناك الآن، وسط السكان يحاول التحقيق فيما يحدث، بينما طلب من مساعديه تفريغ محتوى كاميرات المنطقة، في محاولة منه للتحقق من مكان «حلمي مهران».

***

من داخل الجراج ترجّل «المتصل» من سيارته داخل هذا المكان الذي لديه أكثر من باب، وتوجّه إلى الباب الأيسر ذي المقبض الذكيّ الذي يعمل بالبصمة أو بالأرقام

السرية، نخلع قفازه وفتحه ببصمته.

- شكلك بدأت تشوف وتفهم. أنت عارف إحنا فين يا «حلمي»؟ إحنا في مصنع رجل الأعمال المشهور «ماجد أبو الروس». فاكره؟

من خارج الجراج حاول «حلمي مهران» تذكُّر الاسم الذي لم يكن غريبًا عن مسامعه، وقد ترجّل من سيارته يحاول فتح باب الجراج هذا دون فائدة، فعاد إلى السيارة ليصدمه، ولكنه صدم سيارة أخرى من خلفه، ثم أسرع ناحية باب الجراج، قبل أن يفتحه له «المتصل» من الداخل تلقائيًّا. أسرع «حلمي مهران» بالضغط على المكابح قبل أن تصطدم بسيارة «المتصل» من الداخل.

- أنت بقيت عنيف أوي يا «حلمي»، مع إن ده واجب عليَّ.

يترجّل «حلمي مهران» من السيارة مندهشًا من فتح الباب، ويدخل مُسرعًا مُنحنيًا من أسفله قبل أن يُكمل فتحه مُشهِرًا سلاحه بجانب سيارة «المتصل» المصفوفة قبل أن يسمعه يقول:

- لو عايز تقتلني أنا أوضتي من الباب اللي على شمالك، والرقم السري عيد ميلادك!

يقترب «حلمي مهران» من الباب، ليُدخل الرقم دون أن يفتح، فيتابع «المتصل»:

- عيد ميلادك الجديد يا «حلمي»، اللي أنت اتولدت فيه بجد وطلعت من جِلدك.

يفهم «حلمي مهران» ليضع تاريخ ٣١١٠، فيفتح بالفعل الباب، قبل أن يتابع «المتصل»:

- بس خلي بالك يا «حلمي»، لو دخلت مش هتلحق ابنك اللي هتوصلّه من الباب التاني بس.

يتوقف «حلمي مهران» مُترددًا للحظة، ثم يتنازل عن كبريائه تاركًا ثأره مُتجهًا إلى ناحية الباب الآخر الذي يفتح له تلقائيًّا.

- بس بعد إذنك يا «حلمي» هتضطر تسيب سلاحك هنا!

يترك «حلمي مهران» سلاحه على منضدة بجانب الغرفة الأخرى، ويدخل إلى غرفة مخزن مُظلم. يمشي في ترقُّب داخل المكان، يبحث عمّا يدله على مكان ابنه قبل أن يُغلَق الباب من خلفه تلقائيًّا، ثم تُضاء فجأة الأضواء، حيث تظهر تلك الغرفة مليئة بالشاشات وبها كرسي وحيد يتوسطها، يُعاين «حلمي مهران» الغرفة بكل وضوح بعينين ثاقبتين. الغرفة لها نافذة عليها سور حديديّ، تطل على مجموعة من الأوناش، كل منها يحمل صندوقًا. وصل إليها فرَمقها قبل أن يعود إلى الباب بسرعة، حيث كان مُزوّدًا هو الآخر بقفل ذكي، اتجه ناحيته «حلمي مهران» في محاولة لفتحه مُستخدمًا رقم ميلاده، قبل أن تُظهر له الشاشة:

«رقم سري خاطئ»

كتبه مرة أخرى لتتكرر الرسالة أمامه.

«رقم سري خاطئ» مرة أخرى.

«لديك محاولة أخرى فقط».

توقف «حلمي مهران» عن التكرار وحاول الاستماع إلى «المتصل»، ولكنه كان قد أنهى الاتصال، فحاول الاتصال هو به، ولكنه لم يُجب أبدًا. جلس «حلمي مهران» على مقعد خشبي وأمسك هاتفه، وكرّر الاتصال إلا أن الرقم لم يُجبه، فبدأ يصرخ:

- أنت فين؟

من الغرفة المجاورة كان «المتصل» الآن يستمع إلى موسيقى كلاسيكية، وهو يرمق الشاشات دون أن يجيب، يتراقص عليها كعادته، قبل أن يتعب ويجلس على مقعده للتوّ ليتذكر ماضيه.

***

- مش مصدّق إني أخيرًا هاخلّف منّك يا «درية»!

قالها «طاهر» لزوجته من داخل غرفة المستشفى التي سمح له الطبيب دخولها قبل أن تتجه الزوجة إلى العمليات.

- ده غزل؟!

تساءلت «درية»، ليُجيبها «طاهر»:

- طبعًا، ما قبلك كنت معزول عن العالم، دلوقتي هتربطيني بيه بطفل منّك.

- أنت تستاهل الدنيا.

- بس أنتِ كفاية عليَّ.

- كان زمان. جالك دلوقت اللي تحبُّه أكتر مني.

(٥)

ساعة ظلّ فيها «حلمي مهران» حبيسًا في تلك الغرفة دون غيرها، يقتله الانتظار الذي كان عدوه منذ عودته للحياة، استطاع فيها «المتصل» الانتقام من «حلمي مهران» الذي يرمق تلك الرافعة التي تحمل صندوق ابنه في ترقّب مُميت، قبل أن يرن الهاتف أخيرًا، ليُجيب من فوره في راحة أدهشتْ «المتصل»:

- إيه ده، أنت فرحت أوي كده لما سمعت صوتي!

كبتَ «حلمي مهران» جماحَ غضبه ليُكمل «المتصل»:

- معلش أنا ماردّتش عليك علشان كنت باسمع مزيكا، أصل الصراحة من الحاجات اللي باكرهها في البني آدمين قلة الصبر، يعني لما نتصل بحد، لازم نتوقع يرد علينا، عكس الكمبيوترات دي.

مُشيرًا إلى عالمه في فخر قالها متابعًا:

- الكمبيوترات دي ممكن تستنى سنين في انتظار أمر واحد؛ أصيلة وصبورة، غير البني آدمين!

يظل «حلمي مهران» صامتًا يرمق الرجل بجنونه على الشاشات؛ حيث بثّ له «المتصل» صورته أمامه مزيدًا من قسوته:

- مع إن زي ما المتصل بيختار وقت علشان يكلمنا، لازم يحترم إننا نرد في الوقت اللي يعجبنا. ولّا إيه يا «حلمي»؟ مش حقيقي أهم حاجة التوقيت؟!

لم يُجب «حلمي مهران»، فتابع «المتصل»:

- دي من مشاكلك يا «حلمي».

- إيه المطلوب مني دلوقتي؟

- أنت ليه مابتسمعنيش يا «حلمي»؟ اتعلم مني، اتعلم من الكمبيوترات اللي قُدامك، أتطور بقى.

- أنا عايز أطمن على عيلتي.

- مش هاعرف أحكيلك غير لما تسمعني، علشان كده لازم تتعلّم تسمع.

ظل «حلمي مهران» يرمق صندوق ابنه في توتر لا يستطيع الصبر، بينما تابع «المتصل»:

- عارف يا «حلمي»، الكمبيوتر بيعرف يفرّق بسهولة بين كلمتين للسمع، Listen وhear، دول عاملين زي الإنصات والاستماع في العربي، بس الفرق إن فيهم واحدة للاستيعاب.

يقف «المتصل» ويتابع بحدّة مجنونة:

- ده من أهم عيوبك، مش بتسمع علشان تفكّر، أنت بتسمع علشان تجاوب باللي أنت محضّره، يعني بصرف النظر عن اللي بتسمعه إجابتك واحدة! علشان كده أحكامك غلط!

- أنا عمري ما حكمت غلط.

يتعصب «المتصل» للتوّ صارخًا:

- الكمبيوترات دي بس اللي مابتغلطش يا «حلمي»، لكن أنت بني آدم، وظلمتني في قضيتي وشهدت غلط، علشان لسة مش عايز تستوعب.

يتغير «المتصل» ويتابع بهدوء مريض:

- أو تاني مش راضي تسمع.

- بس أنا عمري ما شهدت غير بالقانون.

- علشان غبي!

انفعل «المتصل» ثم تابع موضحًا:

- القانون غبي، ولما تعرف قضيتي هتتأكد.

يشعر «حلمي مهران» للتوّ بصداع غريب؛ فيُمسك رأسه متألمًا.

***

من داخل أروقة النيابة تحرّك «حلمي مهران» الذي استُدعي للشهادة، بعدما أدى عمله على أكمل وجه، دالًّا رجال الداخلية على هذا الرجل الذي استطاع اختراق أجهزة البورصة، ليشعر بفخر وهو يتحرك داخل طرقات النيابة وصولًا إلى غرفة وكيل النيابة الذي استقبله بفخر من أمام «طاهر العلايلي» الذي كان جالسًا هناك مُتقوقعًا في انتظار مَن يرأف به.

دخل «حلمي مهران» ليستمع إلى أسئلة النيابة التي كان يريد رجالُها التأكد من صحة ما فعله «حلمي مهران»؛ حيث ادّعى «طاهر العلايلي» أنه هو مَن وجّه إليه رجال

الداخلية، وأنه لم يكن ذكاء من «حلمي مهران»؛ الأمر الذي رفضه الأخير بالطبع، فلقد كان يشعر بنصر حقيقي بعد الكثير من الخذلان فتمسك به بكبرياء، وهو يرمق «طاهر العلايلي» الذي راقبه بنظرة ثاقبة لامست «حلمي مهران»، فلقد كان كلاهما مُختلفًا منذ البداية، حفظَ حينها «حلمي مهران» هذا الوجه في إحدى غُرف ذاكرته، كان «طاهر» أبيض الملامح، أصلع الشعر أملس الرأس، طويلًا وإن كان نحيفًا، ذا عينَين عسليّتين تهربان عند المواجهة.

- أنا اللي وصّلتك ليّا، مش أنت اللي وصلتلي.

قالها «طاهر» بقوة أوجعت «حلمي مهران» حينها.

- وأنا ماكُنتش محتاج.. أنا أقدر أوصل لأي حد!

***

عاد «حلمي مهران» من ذِكراه ورؤياه وقد حسمَ أمره:

- أنا عارف أنت مين.. أنت «طاهر العلايلي».

يتوقف «المتصل» وهو يصفق بيديه من غرفته وهو يرتدي القفازين، قبل أن يتوقف لحظة.

- بس أنت غشيت يا «حلمي»، وحاولت تعرف من «هشام»!

أنا مابحبش الغش، والكمبيوتر مابيحبش الغش، أنتو كده كُلكو، كل البني آدمين خَوَنة يا «حلمي»، حتى «وعد» خانتك لما أنت تعبت، ومع ذلك أنت خايف عليها، علشان كده هي معانا دلوقتي على التليفون.

يقولها بقوة قبل أن تظهر «وعد» على الشاشة الكبيرة أمامه مُقيدة، فيقف «حلمي مهران» بلهفة:

- «وعد»، أنتِ كويسة؟

يقولها وهو يقترب من الشاشة.

- أنا مش فاهمة حاجة يا «حلمي»، «وليد» فين؟

يظهر الوجومُ على «حلمي مهران»:

- ماتخافيش يا «وعد»، «وليد» بخير، هالحقه وهالحقِك.

- لو «وليد» حصلُّه حاجة يا «حلمي» مش هاسامحك العمر كله، دي آخر حاجة رابطاني بيك.

تقولها قبل أن يُنهي «المتصل» الاتصال:

- كفاية كده عليك علشان الوقت يا «حلمي».

- أنا مش فاهم أنت عايز مني إيه، ما أنت في الآخر اعترفت بنفسك في القضية!

- وهو علشان اعترفت أبقى مُدان؟! ما أنت أول قضية اترافعت فيها بعد «ماجي» كانت عن «طه» الغفير.. وكان مُعترف.

- بس ده كان مُضطر.

- وأنا كنت مُضطر يا «حلمي»، وأنت اللي مافهمتش! -يقولها بقوة ضاربًا على المنضدة -بس أنت ناسي!

***

من غرفة النيابة يُكمل «طاهر» حديثه إلى «حلمي مهران»

من أمام المحقّق:

- يا «حلمي» بيه، أنا لو كنت عايز أوقّع جلسة البورصة كنت وقّعتها فعلًا.

يتهكم وكيل النيابة:

- ليه يعني؟! بيل جيتس؟!

- بيل جيتس نفسه ما كانش يقدر.

قالها «حلمي مهران» قبل أن يتدخل «طاهر»:

- بس أنا كنت قادر.

- إيه الغرور ده! أنت مش شايف نفسك فين!

علق «حلمي مهران» بثقة ونخر.

- أولًا ده مش غرور، دي ثقة ومسيرك تتأكد، ثانيًا أنا اللي كنت عايز أوصل لهنا.

- طب حمد الله على السلامة يا بطل، إيه المطلوب؟

قالها المحقق فنظر «طاهر» إلى «حلمي مهران» قائلًا:

- أنا عايزكوا تساعدوني!

***

من غرفة المراقبة يُكمل «المتصل»:

- أنت خلّيت النيابة تدبحني بدم بارد، لما فشلت إنك تساعدني!

- أنا شوفت شُغلي، وماقصّرتش في حاجة.

صارخًا يُتابع «المتصل» الذي لا يزال يرتدي قناعه.

- لأ قصّرت، قُلتلكوا إن ابني ومراتي كانوا مخطوفين.

تذكّر «حلمي مهران» للتو ادّعاء «طاهر» حينها بالفعل، ولكنه كان قد تابع القضية بنفسه ساندًا إياها إلى المختصين.

- أنا رُوحت بنفسي ولاقيتهم، وسألت مدير شركتك واتأكدت إنه مالوش دعوة.

- وأنت صدّقته؟! صدّقت «ماجد أبو الروس»؟!

- مش أنا، أنا ماكنتش طرف، ده كان شغل النيابة، والأدلة كلها كانت بتبرأه.

- وأنت صدّقته؟!

كررها «المتصل» صارخًا.

- مش مهم صدّقته ولّا لأ، أنا شهدت باللي شوفته، شركته كانت بعيدة جدًّا عن القضية.

- علشان كده أنا ابني مات، بسبب شهادتك أنت.

***

من مكتب الزيارة بالسجن كان رجل الأعمال المشهور «ماجد أبو الروس» ينتظر قدوم «طاهر»، كان الرجل أربعينيًّا حينها، وسمينًا، يرتدي ملابس رسمية، ويُدخن سيجارته البُنية المستوردة، حتى وصل «طاهر» يُمسكه الشرطيّ، فأجلسه أمام الرجل، ثم فكّ قيوده، فتحسس «طاهر» يديه.

- أنت إيه اللي جابك يا «ماجد»؟!

- «ماجد» حاف كده، ده أنا صاحب الشركة اللي جابتك من الشارع وعملت منك بني آدم.

- أنا بني آدم غصب عنك.

بقوة أطفأ «ماجد» سيجارته في يد «طاهر» الذي صرخ دون أن ينجده أحد، قبل أن يتابع «ماجد»:

- واضح إنك نسيت نفسك، أنت حياتك في إيدي يا «طاهر».

توقف «ماجد» فأمسك «طاهر» يده، وهو يرتعش خوفًا وانكسارًا.

- أنا الداخلية استجوبتني، بس ماتخافش عليَّ، كلهم صدّقوني أنا وكدّبوك أنت. شُوفت إنك مالكش غيري! ليه يا «طاهر» تزعلني منك، ما كانش حد المفروض يموت النهارده. لو كنت خلّصت شغلك كان زمانك مَلِك، وكنت هتكمل حياتك مع مراتك وابنك، وكنت قدرت تخلّص مشروعك، ومين عالِم.. كان ممكن تبقى أشهر من «بيل جيتس» نفسه زي ما بتقول! ما هو اللي عندك مش عند حد!

كان «ماجد أبو الروس» قد طلب من «طاهر» اختراق البورصة بعدما تأكّد من عبقريته في هذا المجال، ولقد كان ذلك هو السبب في تعيينه له منذ البداية.

- نقول إيه بس! شرف كدّاب، وأديك أهو مرمي

في الحجز ومحدش قدر يساعدك، هتبقى سوابق وخسرت مستقبلك، وابنك اللي دفع التمن، مش كنت تقولي إنه مريض سُكر يا أخي! كنا على الأقل حاولنا نلحقه.

كان «ماجد» قد تسبّب في مقتل ابن «طاهر» المخطوف، جهلًا منه بحالته الصحية، الأمر الذي كسر ظهر «طاهر»، وجعله يُدرك ضعفه ووحدته، وجديّة «ماجد» وقسوته، فاستسلم إلى «ماجد» الذي فرض قبضته على «درية» زوجة «طاهر».

- يلّا شد حيلك يا «طاهر»، وقَضّي مدتك، علشان تكمّل اللي ماخلّصتوش يا بطل.

قالها مُشيرًا إلى العمل الذي ينتظر «طاهر»، قبل أن يتابع:

- آه صحيح، مراتك هتفضل شغّالة معانا، مش مسجونة طبعًا، دي معززة مُكرمة، ما هو مابقلهاش غيري، ما أنت ماسبتلهاش حاجة، أوعدك هاخلّي بالي منها لغاية ما تخرج بالسلامة وتعمل اللي أنا عايزه. عن إذنك.

***

يعود «المتصل» إلى واقعه وهو يرمق «حلمي مهران»:

- «ماجد» قتل ابني يا «حلمي» وأنت السبب.

- أنا كنت باطبق القانون.

- والنهارده أنا القانون، وزي ما قتلت ابني، أنا كمان هاقتل ابنك، روح قصاد روح.

- لأ يا «طاهر»، «وليد» مالوش ذنب!

- ذنبه إنه ابنك، زي ما كان ذنب ابني إني أبوه. بس علشان أنا بافهم في الحق، هاكون أعدل منك، وهاديلك فرصة، باب الأوضة اللي أنت فيها بيفتح برقم رُباعي، وأنت لازم تفتحه علشان تخرج تلحقه؛ لأن ونش الرفع اللي متعلق بيه مش هيستنى كتير.. ولّا إيه؟!

قالها «المتصل» بقسوة وهو يتابع:

- ده غير إن حالة «وليد» مش مُستقرة، أنا حقيقي ماأعتقدش إننا هنلحقه!

تظهر للتوّ لقطة للابن الذي كاد يفقد الوعي داخل هذا الصندوق من على الشاشات من أمام «حلمي مهران». يدمع الأخير، بينما يلتف «المتصل» بحركة استعراضية واضعًا كلتا يديه أمامه في وضع الصلاة، وهو يضغط على زجاج حاسوبه:

- عمومًا أنا هاسألك سبعة أسئلة عن ابنك، كل إجابة صح هاديّك مُقابلها رقم من الأربعة أرقام بتوع الباب، يعني لو جاوبت أربعة منهم بس صح، هتقدر تفتحه.

يلتف بمقعده بحركة دائرية:

- شوفت أنا fair إزاي؟ أصل أنا في ال fair .... بابقى Fair enough !

يقترب أكثر من الشاشة، ثم يتابع:

- ساعتها بقى يا بطل تقدر تخرج من عندك وتلحقه.



ها!!!! جاهز؟

لم يُجب «حلمي مهران»، ليُكمل «المتصل» وهو يتجه ناحية جهاز كمبيوتر كي يُرسل إليه بقية صور «وعد» و«وليد»، لتُصبح الآن أمام «حلمي مهران» صور كل عائلته، قبل أن يقترب منه بطريقة مَرَضية:

- أعتبرك جاهز، وأنا هاخلّي كل العيلة قدامك.

يُكمل «المتصل» وهو يتحرك بطريقة مَرَضية متراقصًا:

- ها.. فهمت؟

لم يُجب «حلمي مهران»، فيصرخ «المتصل» وهو يُكبّر صورة الابن بعصبية:

- أنا بكلّمك!

***

(٦)

في يوم المحاكمة، كان «حلمي مهران» حينها يدلو بشهادته الفنية التي أضعفت من موقف «طاهر».

- يا سيادة القاضي، أنا شهادتي واضحة، ومدعومة بكل الأدلة والبراهين، اللي حاول يخترق شبكة البورصة هو «طاهر العلايلي»، مفيش أدنى شك، وأنا اللي قدرت أكشفه مع زمايلي في الجهاز.

- يعني هو ماحاولش يكشف نفسه بنفسه.

تساءل القاضي، ليتهكّم حينها «حلمي مهران»:

- وهوّ في حرامي هيبلغ على نفسه وهو بيسرق؟!

قاطع شهادة «حلمي مهران» وكيلُ النيابة الذي استرسل بالوقائع:

- يا سيادة القاضي، كل الأدلة والبراهين تؤكد محاولة اختراق المتهم لجهاز من أهم أجهزة الدولة، والتعمُّد في التخريب، فمثل تلك النماذج لا يجب أن تعيش إلا خلف القضبان، فهذا هو التهديد الحقيقي للمجتمع.

هربت دمعة من عين «طاهر» الذي كان طاهرًا بالفعل!

***

من داخل غرفة المراقبة، كان «المتصل» الآن في حالة من السعادة وهو يضع نفسه قاضيًا على «حلمي مهران»، وإن ظل يتخفى خلف قناعه الذي يُخفي الكثير، ليبدأ

المحاكمة:

- دلوقتي هيبقى معاك خمستاشر ثانية لكل إجابة، بس المرة دي أنا اللي هابقى الحَكَم، زيك بالضبط. أنا مش ناسيك، يلَّا نبدأ الجلسة.

مع السؤال الأول، وطبعًا الأسئلة كلها سهلة وفي مستوى الأب المتوسط.

ها.. مين يا «حلمي» أقرب صديق لابنك «وليد»؟

يقولها بينما يعلو صوت دقات قلب «وليد» الخافت على سماعات «حلمي مهران» الذي حاول تذكُّر أسماء أصدقاء ابنه دون فائدة، فلم يكن الوقت الذي يُبقيه معه كافيًا لمثل تلك التفاصيل التي يجهلها أغلبُ الآباء المشغولين. ابتسم «المتصل» مع نهاية الوقت:

- إجابة خاطئة.

يقولها «المتصل» مع صدور صوت الخطأ وعلامة حمراء على الشاشة.

- والإجابة الصحيحة هي «طارق» اللي دايمًا معاه وأنت مابتشوفهوش.

تعرَّق «حلمي مهران» وهو يحاول نبش ذكرياته مُتذكرًا وجه صديق ابنه بصعوبة.

- نيجي للسؤال التاني: ابنك بيسقط في مواد إيه؟

- ابني ما بيسقطش.

يبتسم «المتصل» وهو يتابع:

- إجابة خاطئة.

يقولها مع صدور صوت الخطأ وعلامة حمراء على الشاشة.

- ابنك يا أستاذ بيسقط في «الأحياء»، علشان بيخاف من التشريح، بس هو بيخاف يقولك، زي ما أمّه بتخبّي عليك بالضبط.

- ده كذب، أنت هتعرف ابني منين؟

- ماتخافش، أنا عارفه كويس وأكتر منك، ولو لحقته تقدر تسأله، ده لو حابب تخرج من القوقعة بتاعتك. المهم دلوقتي، ماتضيّعش وقتك، يلّا السؤال التالت.

ابتسم «المتصل» من خلف قناعه وهو يتابع:

- إيه الكلية اللي ابنك نفسه يخشها؟ وخلي بالك، أنت كده محتاج أربع إجابات صح من خمسة فركّز.

يظل «حلمي مهران» مُتوترًا يحاول الرجوع بالماضي؛ ليتذكر حين طلب أن يُصبح شهيدًا مثل جده، فيبتسم مُجيبًا:

- كلية الشرطة.

يصدر صوت الخطأ وعلامة حمراء على الشاشة.

- علشان بتسمع من غير ما بتفهم. حتى دي ماتعرفهاش عن ابنك يا «حلمي». أنت مش بتجاوب على لسان ابنك، أنت عمرك ما فهمته، ابنك زيك عايز يثبتلك نفسه، لكن هو زيك مش عايز يطلع كربونة لأبوه، ابنك ذكي زيك، يمكن أكتر منك، ابنك من أهم مُبرمجين الكمبيوتر اللي في

سِنه، ونِفسه يدخل كلية حاسبات ومعلومات بس عمره ما واجهك.

يسكت لحظة ثم يتابع:

- أنت حقيقي ماتستاهلش ابنك يا «حلمي»!

يتحرك «المتصل» كالمحامين أمام شاشاته.

- أنا حقيقي ماأعرفش أنت خلّفته ليه!

يظهر الغضب على «حلمي مهران»:

- كفاية بقى!

- براحتك، أنا هكمّل الأسئلة، بس المهم تفهمني.

ساخرًا يقولها مُتهكمًا على «حلمي مهران»، ثم يتابع:

- بس الأهم إنك تسمع، والسؤال الرابع بيقول: هواية ابنك إيه؟

يظل «حلمي مهران» يتذكّر ألعاب الفيديو فيقول:

- ألعاب الفيديو.. لأ.

بعدما قالها «حلمي مهران» توقّف وتمّعن في كل الألعاب التي يعشقها ابنه، فيجد فيها عاملًا مشتركًا وهو البحث، الأمر الذي يفعله داخل وخارج ألعابه:

- ابني يحب يدوّر، يدوّر على الحقايق وسط ألغاز التاريخ.

يندهش «المتصل» من إجابة الأب:

- ده أنت بتتحسّن أهو!

يطمئن «حلمي مهران» وهو يرمق العلامة الخضراء للمرة الأولى على الشاشة.

- ولأول مرة نقول إجابة صحيحة، وكده معاك أول رقم وهو «اتنين».

يكتب الرقم على الشاشة.

- السؤال الخامس: مين أقرب حد لـ«وليد» في البيت؟

في تردُّد يُجيب «حلمي مهران»:

- أنا.

يبتسم «المتصل»:

- وإجابة تانية صحيحة، والرقم التاني معانا «سبعة». هانت يا بطل!

دمعت عينا «حلمي مهران» عندما تأكّد من قُربه لابنه.

- السؤال السادس: إيه أكتر حاجة «وليد» بيخاف منها في الدنيا؟

يقولها «المتصل» ليتذكّر «حلمي مهران» لقطات من تمسُّك ابنه به، فيدمع مرة أخرى، وهو يُجيب بصوت مبحوح:

- الفراق.

كانت بالفعل إجابة صحيحة؛ فلقد صار عدو «وليد» الأوَّل هو الفراق، وبخاصة فراق أبيه؛ الأمر الذي أضعف للتو قلب «حلمي مهران» الذي لم يكن يهاب الموت قبل تلك اللحظة.

- إجابة صحيحة، والرقم التالت هو «صفر».

رمق «المتصل» «حلمي مهران» الناظر أرضًا ليُخرج علكة جديدة.

- باصص على الأرض ليه يا «حلمي»، لسة قدامك فرصة كبيرة تخرج لابنك وتعوّضه، عكسي بالضبط.

يشعر «حلمي مهران» بالندم، بينما يتابع «المتصل»:

- السؤال الأخير: ابنك حاول ينتحر كام مرة؟

يذهل «حلمي مهران» من هَوْل السؤال ويجثو على ركبتيه.

- يلَّا يا «حلمي»، مفيش وقت.

- أنا ابني عمره ما يفكّر ينتحر، ينتحر ليه.. هو إحنا عُمرنا قصّرنا معاه في حاجة؟! هو فين؟! خليه يرد عليَّ.

- هو سامعك بس للأسف حالته ماتسمحلوش بالرد.

يظهر الآن «وليد» على الشاشة، وهو يحاول التمسُّك بما تبقى من أكسجين.

- أرجوك يا «حلمي» جاوب، ماتعجّزنيش، ابنك بيروح مننا، ناقص ثواني.

يقولها «المتصل» قبل أن ينتهي العَد وترسم الشاشة علامة حمراء.

- للأسف، كده معكش غير تلات أرقام بس، ممكن بقى تجرّب.

يقف «حلمي مهران» لا حولَ له ولا قوة ليسأل «المتصل»:

- هو أنا ابني حاول ينتحر قبل كده؟!

- وهو أنا هاعرف منين يا «حلمي»؟! أنا مش القاضي، أنا مجرد شاهد زيك بالضبط، ماأعرفش أي حاجة.

يقولها قبل أن يسمع صوتًا ما، ليظهر على الشاشة لقطة لابنه الذي كاد يسقط للتوّ من على الرافعة.

- بابا، الحقني يا بابا، أنا مش عايز أموت، مش عايز أموت.

يُسرع «حلمي مهران» ناحية الباب بسرعة؛ ليضغط الأرقام الثلاثة الأولى. «٢٧٠» ثم يتوقف لحظة وهو يرمق الأرقام لا يعرف ماذا يضغط في الرقم الرابع.

- ها يا «حلمي» هتجرّب إيه؟

تذكّر «حلمي مهران» للتو كلمة «المتصل» حين قال إن الرقم السري هو تاريخ عيد ميلاده، فيبتسم مُتذكرًا لحظة ميلاد ابنه «وليد» فيضغط الرقم الأخير «٢»؛ والذي كان ينقص من تاريخ ميلاد «وليد» بالفعل، ليفتح الباب مع حديث «المتصل» مع نزول ديكورات ذهبية اللون من السماء وكأنه قد كسب في لعبة ما.

- برافو عليك تاريخ ميلاد «وليد» ٢٧ فبراير فعلًا، إجابة صحيحة، يلّا يا بطل تعالالي أنا مستنيك.

يخرج «حلمي مهران» بسرعة من الغرفة، عائدًا إلى مدخل

الجراح فلا يجد سلاحه، ثم يتجه منها إلى باب الغرفة الأخرى، واضعًا رقم ٣١١٠ ليفتح الباب الآخر حيث يجد «المتصل» أمامه الآن وهو لا يزال يرتدي قناعه ويجلس يستمع إلى موسيقاه الكلاسيكية، بينما يضع رِجلًا على الأخرى أعلى المنضدة، وهو مُمسك بسلاح «حلمي مهران».

- بتحب «موتزارت» يا «حلمي»؟

- «وليد» ملوش دعوة يا «طاهر».

- هو أنت ليه مابتسمعنيش دايمًا يا «حلمي»؟!

بقوة مُكررًا مُتابعًا سؤاله:

- بتحب «موتزارت»؟

- مليش في المزيكا.

أجابه «حلمي مهران» ليتعجّل «الرجل»:

- مزيكا! حقيقي مُحامي. «موتزارت» ده مش مزيكاتي، ده أعظم عازف ومؤلف في الدنيا، رغم إنه مات وهو عنده ٣٥ سنة، بس لسة التاريخ مخلّده، زيي كده؛ أنا التاريخ هيخلّدني، ما اللي زيي عمره ما يموت يا «حلمي».

- قُلتلك مَغرور.

- وأنا قُلتلك إني واثق في نفسي، وهتشوف بنفسك وتصدّق، والأهم إن الكمبيوترات دي نفسها تصدق، زي ما قولتلك دي أصدق من البشر.

يقولها مُشيرًا إلى حواسيبه من أمامه ثم يتابع بثقة:

- طب أنت عارف السيمفونية اللي شغالة دي مش من تأليف «موتزات»، لأ دي الذكاء الاصطناعي شايف إنه لو عايش كان هيألفها، بذمتك في أعظم من كده؟!

- ده جنون.

يقف «الرجل» مُقتربًا من شاشة يرمقها، فلقد لاحظ اقتراب شخص من البوابة، ولقد كان هذا الشخص هو «هشام» بالفعل دون أن ينتبه «المتصل» لهويته.

- عمرك ما هتفهم يا «حلمي» غير لما تاخد الدرس للآخر.

- أنت ليه لابس الماسك ده.. ما أنا عرفتك خلاص؟!

ابتسم «الرجل» مُجيبًا في سخرية:

- مش باقولك مش هتفهم بسهولة، عمومًا دلوقتي لو عايز تلحق ابنك تقدر تتفضل من الباب ده.

قالها وهو يُشير إلى باب يتجه إلى التراس الخارجي.

- لما تنزل من هنا، هتلاقي تلات أوناش، وأنت تحت هاقولّك ابنك في مين فيهم، بس خلّي بالك مفيش وقت تجرب التلاتة.

يقولها وهو يرمي السلاح إلى «حلمي مهران»، فيُمسكه الأخير مُوجّهًا إياه إلى «الرجل» الذي يقترب بكل ثقة ليقف أمام «حلمي مهران».

- والله لو تقدر تقتلني، هاكون سعيد!

بجنون يقولها وهو يضع فمه على المسدس بتحدٍّ، فيتعرق «حلمي مهران» الذي يُعمّر سلاحه في تحدٍّ هو الآخر.

***

(٧)

من سيارة إسعاف يظهر طفل مُمسكًا بدُمية على شكل رجل آليّ في السيارة، بينما بيده الأخرى يمسك بيد «طاهر» الجالس إلى جانب زوجته التي يظهر القلق عليها؛ نظرًا لتأخر جرعة الدواء على الطفل.

- أنا حاسة بالندم، إحنا اتأخرنا عليه بالجرعة النهارده.

- بس لحقناه.

قالها «طاهر» في محاولة منه لتهدئة زوجته التي قالت حينها:

- بس أنا خايفة مرة مانلحقهوش.

يمسك «طاهر» علبة العلكة التي كانت في يد ابنه والدمية التي كانت في حضنه، مع تصاعد صوت الإسعاف.

***

من غرفة المراقبة توقف «حلمي مهران» لحظة رامقًا الساعة التي تعمل للتو على الشاشات مُشيرة إلى خمس دقائق على وقوع ابنه «وليد» من على الرافعة، فينهزم ويُخرج السلاح من فم «الرجل» الذي يبتسم قائلًا:

- برافو يا «حلمي»، أنت اتحسنت خالص، بس السؤال: أنت ماقتلتنيش علشان خايف على ابنك وعلى علشان رجل قانون؟

بثقة ونخر يُجيب «حلمي مهران»:



- علشان ابني «وليد»، لكن صدقني أول ما اطمّن عليه، هاقتلك بس مش بالمسدس ده!

قالها مُشيرًا إلى «ابن آوى»، ليُجيب «الرجل»:

- إذًا فأهلًا بك في الدرس الجديد، فنحن في انتظارك كقاتل مُحترف.

بعربية فُصحى قالها «الرجل» ساخرًا، بينما غادر «حلمي مهران» متجهًا إلى الرافعات، في حين ظل «الرجل» يرمقه وهو عند آخر التراس، حيث توجَّب عليه صعود سقالات من أجل الوصول إلى الرافعات.

- هتضطر نتعب معانا شوية معلش يا «حلمي».

قالها «المتصل» الآن الذي يسمعه «حلمي مهران» من السماعة، وهو يتابع:

- خلي بالك يا «حلمي»، كل الكاميرات دي النهارده جايباك ومصوّراك برضه.

يرمق «حلمي مهران» الكاميرات عن يمينه ويساره.

- ما هو أنا اللي زيي بيعرف يخترق أي حاجة فيها الروح، قصدي أي حاجة مفيهاش روح.

يسمعها «حلمي مهران» مُتذكرًا شيئًا خاصًّا.

***

من منزله كان «حلمي مهران» مع زوجته «وعد» يتحدث عن قضيته، التي لم تفهمها حينها:

- يعني إيه سرقة إلكترونية دي يا «حلمي»؟

- يعني هَكر يا «وعد».

- هو أنا فهمت الأولانية لما هافهم التانية!

- إحنا في عصر الكمبيوتر يا «وعد»، والراجل ده مُجرم.

- ما أنا عارفة إنه مجرم.

ابتسم «حلمي مهران»:

- قصدي ذكي جدًّا، قدر يخش على نظام البورصة كله، كان ممكن يوقعها كلها، بس ماقدرش.

- أو يمكن مارضيش!

قالتها «وعد» للتو بتلقائية أفسدت مُتعة نصر «حلمي مهران» الذي كانت تساوره الشكوك.

***

من عند السقالات يظهر «حلمي مهران»، يتحرك بصعوبة بينما لا يزال يتذكر ليقول لـ«المتصل»:

- بس أنت رجّعتني تاني لرأيي؛ أنت فعلًا مُجرم يا «طاهر».

يتوقف «المتصل» في ضيق:

- ما الفضل يرجعلك، هو لما واحد زيي يقضي حياته في السجن هيطلعلك إيه؟ تاجر سِبَح؟!

- ده مش مُبرر.

أجابه «حلمي مهران» وهو يتحرك على تلك السقالات التي تفتقر لكل عوامل الأمان، بينما ظل «المتصل» مُنبهراً بسرعة ومرونة «حلمي مهران» في الحركة بانسيابية، فلم يهَب الأخير مثل تلك المخاطر.

- أنا مش محتاج أبرّر لك يا «حلمي»، أنا كنت مجرد رد فعل للي أنت عملته فيّا.

- أنا عملت واجبي وماغلطتش.

- وأنا كمان دلوقتي باعمل الواجب بتاعي، وخليك فاكر يا «حلمي».. روح قصاد روح.

- لأ.. ملكش عندي ولا روح.

بثقة ردّدها «حلمي مهران» الذي أسرع في حركته بطريقة مُبهرة.

- برضه مش راضي تتكسر يا «حلمي»، طيب باقولك إيه، أنا هادخلّك مراتك، إيه رأيك؟

يقولها وهو يضغط على زر آخر، ويبتسم في محاولة منه لتشتيت «حلمي مهران».

- ونقول ألو، مدام «وعد»، مساء الجمَال.

يقولها لتدخل «وعد» على الخط المفتوح.

- ارحمني بقى حرام عليك.

- قولي لجوزك، قصدي طليقك، أنا مالي، هو اللي في إيده كل الحكاية دلوقتي.

يتوتر «حلمي مهران» بالفعل من اتصال «وعد» قبل أن يتدخل «المتصل» بقسوة:

- يلَّا يا «حلمي»، قول للمدام الحقيقة، يا إما هأقفل الخط المفتوح، ها!

يتوقف «حلمي مهران» وسط السلم.

- عايزني أقول إيه إخلص!

يقاطعه «المتصل» حاجبًا صوتهما على الاتصال قائلًا:

- قولّها الحقيقة يا «حلمي»، إنك لسة بتحبها، بس لسة بتخاف من الرفض.

يسكت «حلمي مهران»، ليُعيد «المتصل» وضع «وعد» على الخط:

- يا مدام «وعد»، «حلمي» لسة بيحبك، ولسة مضحي بمساعدته «ماجي» اللي رفضها كتير علشانك.

يسود الصمت على الخط قبل أن يُتابع «المتصل»:

- صح يا «حلمي» بيه، ولَّا عندك رأي تاني؟

- مش وقته الكلام ده، أنا هنا دلوقتي علشانكو.

- لأ أنت هنا علشان راجل قانون.

قالها «المتصل» قبل أن يُتابع موضحًا:

- أو بمعنى أصح راجل جاهل في القانون.

- وأنت خارج على القانون.

يقولها «حلمي مهران» وقد وصل أخيرًا إلى طابق الرافعات.

- هنشوف، المهم دلوقتي إنك وصلت يا «حلمي»، برافو، معلش يا مدام هنضطر نقفل معاكِ دلوقتي، وإذا ربنا كرم والأستاذ «حلمي مهران» لِحقك ماتنسيش تبقي تشكريني إني خلصتك من «ماجي».

- كفاية بقاااا، ابني في آني ونش من دول؟

صرخ «حلمي مهران» مُتسائلًا، ليجيبه «المتصل» مُستفزًا إياه:

- مش هاقولك، غير أما تجاوبني، هو لو أنا قدامك دلوقتي هتقتلني ولّا لأ؟

يرمق «حلمي مهران» الساعة والوقت، فيقرر الصعود للرافعة الأولى والتي هي عبارة عن سلّم رأسي يخترق الرافعة وحتى غرفة القيادة، ليبدأ الصعود.

- ماتحاولش تستخدم ذكاءك يا «حلمي»، مش هينفعك قُدام ذكائي.

يصل «حلمي مهران» إلى أعلى الرافعة الأولى ليضع فيها المفتاح الذي معه ليجده لا يعمل.

- المفتاح مش هيشتغل هنا، مش ده الونش يا «حلمي».

يقولها «المتصل» وهو يُراقب «حلمي مهران» عن قُرب، بينما هَمَّ الأخير بالنزول في صعوبة.

- ناقص كام دقيقة، مش هتلحق تطلع الونشين يا

«حلمي»، لازم تجاوبني علشان أريحك.. ها.. لو أنا قدامك دلوقتي هتقتلني ولّا لأ؟

- قُلتلك هأقتلك، هأقتلك، أنت ماتعرفش أنا أبقى مين؟

- وأنا قلتلك أنا أقدر أعرف عنك كل حاجة، كل حاجة بينك وبين تليفونك بتعرّيك قُدامي.

- صدّقني أنا عندي في حياتي اللي ملوش وجود على التليفون.

مُشيرًا إلى الجانب الخفي في حياته قالها «حلمي مهران»، بينما كان «المتصل» يتحرك من غرفة المراقبة متوجهًا إلى الجراج.

- حِيث كده بقى خُد نفَس طويل علشان هتحتاجه!

يقولها «المتصل» بينما كان «حلمي مهران» عند السطح مرة أخرى قد توسّط الرافعتين الأخريين، ليرمق «المتصل» الذي صار عند الجراج الذي يُطل على الأوناش من نافذة بعيدة، قبل أن يلتف ليغادر الجراج تاركًا «حلمي مهران» يائسًا يحتاج إلى معرفة مكان ابنه مع نفاد الوقت وصوت الرافعات المهزوزة، ليتخذ القرار ويرفع سلاحه ضاربًا «عيارًا ناريًّا» في الهواء.

- ابني فين؟ إخلص.

- عرفت إن الواحد ممكن يعمل أي حاجة علشان ولاده، أنا بقى اعترفت على نفسي علشان أحميه. يلّا روح لابنك يمكن تلحقه، وهأقولك حالًا هو فين، ومراتك

كمان. أنا مش قتّال قُتلة زيك يا «حلمي»!

يقولها «المتصل» وهو يفتح باب الجراج الإلكتروني، قبل أن يسمع صوت «هشام» من الخارج:

- ارفع إيدك وانزل على الأرض.

يتوقف «المتصل» فجأة وهو يتحدث إلى «حلمي مهران» قائلًا:

- أنت لسة بتغش يا «حلمي»؟!

***

(٨)

من شركة «ماجد أبو الروس» كان «طاهر العلايلي» الآن أمام موظف التعيينات المبهور بإمكانياته، وإن لم يُظهر له ذلك، فلم يطمئن «طاهر» الذي تدرج في مقابلات العمل من مدير إلى آخر، وصولًا إلى «ماجد أبو الروس» نفسه الذي استقبل «طاهر» بحفاوة في النهاية.

- أنت عارف أنت قاعد معايا بنفسي ليه يا «طاهر»؟

توتر «طاهر» مُحرَجًا دون أن يُجيب، فتابع «ماجد»:

- علشان أنا يهمني أكتر من الشغل الطموح، وأنت طَمُوح، والمشروع اللي أنت بتتكلم عليه ده مهم جدًّا بالنسبة ليَّ، علشان كده أنا مش بس هاعيّنك هنا، لأ... أنا كمان هامَوِّل مشروعك.

لم يصدق «طاهر» كلمات الرجل، فتراقص دقات قلبه فرحًا.

- من النهارده أنت في الفريق الكسبان، مابقتش لوحدك خلاص، المهم إنك تفضل في ضهرنا علشان نقدر بيك نحقق حاجات كتير جدًّا.

- أكيد يا فندم أنا هافضل تحت أمر حضرتك في أي حاجة.

يبتسم «ماجد أبو الروس» أمام تلك الفرصة، وهو يعود بالنظر إلى مشروع «طاهر» المختلف الذي طالما ظل يبحث عنه.

***

عند باب الجراج بدأ «المتصل» يجثو على ركبتيه أمام المقدم «هشام» الممسك بسلاحه، بينما لا يزال «حلمي مهران» عند الخط ينتظر معرفة مكان ابنه عند الرافعات التي بدأت الاهتزاز حيث كادت تسقط بالفعل، ليصرخ في «المتصل»:

- قولي ابني فين بسرعة.. هيموت يا «طاهر».

لم يستطع «المتصل» الإجابة، وقبل أن تصل ركبتاه للأرض وقف بسرعة مُباغتًا «هشام» الذي وقع منه السلاحِ، ثم أسرع راكضًا إلى الداخل. من ناحية أخرى لاحظَ «حلمي مهران» خطورة الموقف وهو يُكرّر سؤال «المتصل» المشغول عنه، فتذكّر كلمته الأخيرة حين قال: «خُد نفَس طويل علشان هتحتاجه»، فيرمق «حلمي مهران» الرافعة الأعلى ويتجه إليها، بينما توجّه «المتصل» ناحية التراس ومنه إلى السقالات هروبًا من «هشام».

صعد «حلمي مهران» هذا السلم الرأسي الطويل مع تصاعُد صوت دقات قلبه، حتى وصل إلى غرفة القيادة؛ فأخرج المفتاح وجرّبه بينما كان «هشام» قد نهض وأخذ سلاحه ثم دخل يبحث عن «المتصل» الذي كان قد وصل إلى السقالات.

أمسك «حلمي مهران» المفتاح ووضعه في الرافعة، ولكنه لم يعمل، فحاول مرة تلو الأخرى، قبل أن يرمق الرافعة الأخرى من أمامه وقد تهاوت حمولتها للتو مُحطمة أمام

مرأى ومسمع منه ليصرخ من فوره:

- لاااا.

ظل «حلمي مهران» يصرخ على وقوع الحمولة المتبقية قبل أن يسمع صوت «المتصل» الذي كان يراقب المشهد.

- شِد حِيلك، ما أنا كمان ابني مات يا «حلمي»!

من أعلى ظلّ «حلمي مهران» يرمق المشهد من الرافعة حيث «المتصل» بالأسفل عند السقالات يحاول الهرب من «هشام».

- أنا هأقتلك.. هأقتلك!

- ما قُلتلك إنك قتلتني قبل كده يا باشا.. قتلتني لما خذلتني، قتلتني لما ابني مات برضه، تقدر تقولّي ذنبه إيه؟!

- وأنا ذنب ابني إيه؟!

- زي ما قولتلك.. «روح قصاد روح».

أسرع «حلمي مهران» في النزول إلى «المتصل» الذي صار بينه من ناحية وبين «هشام» من الناحية الأخرى.

- أنا هاقتلك...

كررها «حلمي» للتوّ وهو يُشهر سلاحه من على بُعد عشرات الأمتار، ليتوقف «المتصل» للتو بعد أن وصل أسفل الرافعة التي يعتليها «حلمي مهران»، ولكن «المتصل» تذكّر أن «حلمي مهران» لم يكن ماهراً في الرماية، فتابع هروبه دون توقّف وهو يقول:

- نزّل سلاحك يا «حلمي» وأقبل الخسارة، أنا بعيد عليك.

ابتسم «حلمي مهران» للتو وهو يرمق الرجل للحظة بتركيز قبل أن يُغلق عينيه الاثنتين، فلقد كان يؤمن بعين «حورس» الثالثة. ضغطَ الزناد وهو يقول:

- يبقى واضح إنك ماتعرفش كل حاجة لسة عن «حلمي مهران»!

يخرج العيار الناري من سلاح «حلمي مهران» الذي فتح عينيه ليرمق تلك الطلقة، وكأنها تسير ببُطء في الهواء حتى أدركتْ جسد «المتصل» المذهول، فيتهاوى أخيرًا على الأرض.

***

مِن حَبْس «طاهر العلايلي» كان الرجل مع زوجته التي زارته يحاول إعطاءها إحساسًا كاذبًا بالأمان، بينما كانت هي يائسة بعد موت ابنهما في قبضة «ماجد أبو الروس»:

- ما خلاص الغالي راح يا «طاهر».

- بس إحنا لسة عايشين، دورنا لسة ماجاش، يبقى أكيد ربنا رايد لينا رسالة في عمرنا.

- ما أنت ورا القضبان، وزي ما قتلوا ابننا، أكيد هيقتلوني أنا كمان وأنت في الحبس.

- هاحميكي حتى وأنا في الحبس، هاحميكي حتى بعد ما أموت، ما هو اللي زيي مابيموتش!

***

نزل «حلمي مهران» سلم الرافعة وتوجّه إلى أسفل وصولًا إلى جسد «المتصل» الذي لم يكن قد فارق الحياة بعد، فجثا على ركبتَيه وهو يُمسك بالقناع ليرفعه، قبل أن يُصاب بالذهول، فلقد كان صاحب هذا القناع شابًّا عشرينيًّا أسمر البشرة، ولم يكن «طاهر» بكل تأكيد!

يقف «حلمي مهران» في حالة ذهول لا يفهم، قبل أن يسمع صوت «المتصل» في أذنه يقول:

- عمرك ما هتفهم ولا هتشوف غير لما تسمع يا «حلمي»، قُلتلك أنا في السحاب!

قالها «المتصل» للتو ليكتشف «حلمي مهران» أن مَن يُحدثه من البداية لم يكن أبدًا مَن يرتدي القناع. نظر «حلمي مهران» إلى السحاب وهو يتلفت حول نفسه في حالة يُرثى لها، يتحرك ذهابًا وإيابًا في حالة توتر وشرود، ثم يتجه ناحية الصندوق الذي وقع من الرافعة بحثًا عن جثة «وليد» بينما لا يزال يسمع صوت «المتصل» في سماعة أذنه:

- ما كانش المفروض حد يموت يا «حلمي»، يا ريت نتعلم الدرس؛ لأن دي نهاية الخط.

وصل «حلمي» مكان الصندوق المحطّم وهو في حالة انهيار، ولكنه لم يجد جثة «وليد» الذي لم يكن فيه منذ البداية هو الآخَر، ليلتفت ناحية صاحب القناع الذي ينزف الدماء مُتسائلًا:

- «طاهر» ألو، أنت فين؟ مين اللي أنا ضربته بالنار ده؟!

- قُلتلك أنا «السحاب» ودي نهاية الخط.

يسمع «حلمي مهران» صوت انقطاع الخط، فيعاود مُسرعًا ناحية صاحب القناع يحاول أن يُسعفه، قبل أن يرمق صديقَه الذي وصل إلى أسفل للتو.

- «حلمي» أنت كويس؟

ابتسم «حلمي مهران» دون أن يُجيب «هشام» متابعًا إسعاف الرجل ذي القناع، قبل أن يسمع صوتها من خلف «هشام»:

- سيبهولي يا «حلمي» أنا هاتصرف.

ارتبك «حلمي مهران» الذي ظن نفسه موهومًا عند سماع صوتها، ولكنها ظهرت الآن من خلف «هشام» تهرع إليه، فتوقف «حلمي مهران» للحظة يحاول إدراك خياله من الواقع، ولكنه أدرك «هشام» وهو يقول:

- خلي بالِك يا «ماجي».

لم يتزن «حلمي مهران» الذي عاد خطوتين إلى الوراء، وهو يرمق «ماجي» التي جثتْ أمام جسد صاحب القناع؛ ليظل في حالة عدم فهم!

- إزاي؟! أنا شُوفتك بتموتي.

اندهشتْ «ماجي» وهي تقول:

- بعد الشر عليَّ.

قالها «هشام» قبل أن نُتابع هي:

- مش كل اللي بنشوفه حقيقة يا «حلمي».

- أنا مش فاهم حاجة.

- إحنا معاك وهنفهم سوا.

حاولتْ «ماجي» إسعاف الرجل بينما اتصل «هشام» بقواته والإسعاف، قبل أن يتوجّه «حلمي مهران» إلى غرفة مراقبة الرجل المقنّع يحاول فهم ما حدث، فيتبعه «هشام».

من هناك وجد «حلمي مهران» علبة العلكة التي كان يمسكها «المتصل». أمسك بها قبل أن يعمل تلقائيًّا للتو من الشاشة الكبيرة أمامه تسجيلٍ قديم لـ«المتصل» وهو يتحدث من خلف قناعه قائلًا:

- لو وصلت لغاية هنا يا «حلمي»، يبقى المفروض أخدت الدرس للآخر. ماتخافش، ولا ابنك ولا مراتك ولا حتى «ماجي» حصلهم حاجة. كلهم بخير والحمد لله، حتى «إيمان» الصغيرة لو كنت ركّزت في التفاصيل كنت هتلاقي تحتها عوامة أمان، ولو أنت كنت اتأخرت أنا كنت هالحقها، زي ما لحقتكوا أنتو الاتنين فعلًا.

ظل «حلمي مهران» يتذكّر التفاصيل وتلك العوامة السوداء التي طفا عليها بالفعل، بينما تابع «الرجل»:

- ولو ركّزت كنت خدت بالك إن مفيش واحد منهم كان هو اللي بيكلمك، كل الاتصالات اللي حصلت كانت

من تليفوني أنا!

ظل الوجوم يُسيطر على «حلمي مهران» الذي جلس مُندهشًا مثل «هشام» الذي لم يكن قد فهم ما يحدث بعد!

- أنا اللي كنت باكلمك بأصواتهم يا «حلمي»، هو ده مشروعي اللي قدمته لـ«ماجد أبو الروس» من زمان! زي ما الصورة بقت بتتزيف، الصوت والفيديو كمان بقوا لعبة!

توقف لحظة مبتسمًا ثم تابع:

- أنت ماسمعتش أغاني المهرجانات بصوت «عبد الوهاب» يا «حلمي»؟! هو ده الذكاء الاصطناعي اللي الناس كانوا مستهونين بيه، فتّح عينك بقى يا «حلمي».

يصرخ «حلمي مهران» كالمجنون قائلًا:

- ارحمني بقى حرام عليك!

ثم أمسك رأسه هاربًا مما حدث، بينما ظلّت أصوات «المتصلين» كلهم تُعاود «حلمي مهران» الآن الذي تم خداعه بالفعل، بينما تابع «المتصل»:

- كل الفيديوهات دي متركبة بالذكاء الاصطناعي يا «حلمي»، زي برضه فيديوهات أم كلثوم وهي بتغني لـ«عمرو دياب»، كل اللي أنت شوفته وحكمت عليه كان مجرد وَهْم، وأنت اللي مولّته ودفعت تمنه يا «حلمي». لو كنت صدقتني زمان كان زمانك فهمت من بدري، مش كل القضايا يتحكم فيها بصوت أو صورة، لسة في درجك

قواضي كتيرة محتاجة منك إعادة نظر، بس نظر لأبعد من الصور، نظرة تشوف فيها مين مُضطر ومين مُجبر. يا ريت يا «حلمي» تكون فهمت الدرس قبل ما تظلم حد غيري!

يقولها «المتصل» قبل أن يسكت لحظة ثم يتابع:

- كان نفسي أكون معاك على التليفون دلوقتي، بس للأسف أنا مش هنا، لو صدقتني يا ريت تبرأ اسمي، وتلحق مراتي، وأنا هافضل حواليك، لأن اللي زيي مابيموتش يا «حلمي»، اللي زيي بيفضل في السحاب.

يقولها قبل أن تُغلق الشاشات عن العرض، ليجلس «حلمي مهران» في شرود، إلى جانب «هشام»، ثم يسمعا صوت جرس ما، ويجدان الصورة الآن على الشاشة لرجل يرتدي نفس ملابس «المتصل» على الباب، فيخرج إليه «حلمي مهران» مُسرعًا، ويفتح له الباب ثم يُمسك به دافعًا إياه إلى الداخل.

- في إيه بس يا باشا، أنا عملت إيه؟!

يخلع «حلمي مهران» قناع الرجل ليجده شابًّا عشرينيًّا هو الآخر:

- مين اللي باعتك؟

- ماأعرفش.

قالها الرجل ليزيد «حلمي مهران» من عُنفه فيقع الشاب أرضًا.

- فين «طاهر»؟

يقولها صارخًا ليوقفه «هشام» بيده:

- كفاية يا «حلمي».

«حرام عليك يا مفتري».

سمعها «حلمي مهران» فتوقف فجأة، ليستعيد الرجل جلسته شارحًا:

- أنا والله ما أعرف حاجة، أنا لاقيت حد باعتلي الماسك ده، وبيقولي آجي أوصل الطرد ده هنا.

يهدأ «حلمي مهران»، وهو يرمق الطرد الواقع على الأرض.

- مين يعني اللي باعتلك بالضبط؟

- ماأعرفش، ده شغل أونلاين، أنا جالي تحويل بفلوس على حسابي، بس مش عاوزها خلاص لو في مشاكل.

يُمسك «حلمي مهران» بالطرد ويفتحه بينما يهرع الرجل فِرارًا منهما، فيجد داخل الطرد هاتفه الشخصي مع مفتاح لسيارة «فورد». أمسك المفتاح وهو يرمق «هشام» بينما فتح هاتفه ليجد رسالة صوتية يسمعها:

«حمد الله على سلامة عيلتك يا «حلمي»، اطلع لعيلتك هتلاقيهم برة في العربية المتأجرة، وماتخافش، أنت دافع الإيجار مُقدمًا، خلاص الكابوس خلص. يلّا يا «حلمي» فتّح عينيك علشان تشوف وشوش الناس اللي مستنياك، يا بختك بيهم!».

يتوقف «حلمي مهران» وهو يرمق يد «هشام» الممسك

به، فيرفع رأسه وكأنه قد رآه للمرة الأولى.

- أنتو جيتوا إمتى؟

- تاني يا «حلمي»، إحنا طول عمرنا في ضهرك، أنت بس اللي مش شايفنا!

يبتسم «حلمي مهران» وهو يرمقه ومن خلفه «ماجي» قد ظهرت:

- الراجل هيعيش بإذن الله.

- هو أنتِ جيتِ برضه، ماسمعتيش الكلام!

- مفيش ست بتسمع الكلام يا «حلمي»!

- مش مهم، المهم إنك بخير.

يقولها وهو يحتضنهما، ويظلان هما مندهشَيْن قبل أن يخرجوا معًا إلى الخارج وهو يتكئ عليهما كالأعمى، فيجدوا في الشارع سيارة «فورد» تشبه سيارات النقل، بينما هناك صوت داخلي، فأسرعوا إلى الخلف وفتحوها، ليخرج «وليد» بالفعل من العتمة، فيحتضنه الأب قبل أن تظهر من خلفه «وعد» التي تخرج للتو هي الأخرى فيقول:

- حمد الله على السلامة يا «وعد».

تبتسم «وعد» له وهي تنزل من السيارة، وتنظر إلى «ماجي» التي رمتها بنظرة عدم قبول، بينما ظل «هشام» يتابع هاتفه مع وصول سيارات الداخلية والإسعاف، مع علوّ صوت سارينا‌تهما، حيث تملأ خلفية المكان الأنوار الزرقاء والحمراء.

***



(٩)

من داخل النيابة كان «حلمي مهران» الآن يجلس أمام المقدم «هشام» في صفة جديدة لم يعهدها على نفسه، فيتساءل غاضبًا:

- أنا مش فاهم يا «هشام»، في إيه؟!

- يا «حلمي» أنت قديم وفاهم، في واحد أنت ضربته بالنار ولسة بين الحياة والموت.

قالها «هشام» مُشيرًا إلى الرجل المصاب في نظرة اتهام غريبة:

- ما أنا حكيتلك الظروف يا «هشام»، وأنت كنت معايا خطوة بخطوة، وجيت بنفسك وشوفت.

- ما هو أنا مصدقك يا «حلمي»، وشوفت بعض الحاجات.

يزداد غضب «حلمي مهران» مُرددًا:

- بعض الحاجات!

يهرب «هشام» من المواجهة مُتابعًا:

- عمومًا دي مجرد إجراءات.

- إجراءات إيه وكلام فاضي إيه! إحنا لازم نوصل للي اسمه «طاهر» ده، أنا مش عارف أنت مستني إيه!

يقف «هشام» وهو ينتقل إلى المقعد الذي أمامه:

- ما هو أنا لما كنت باتصل بيك، كنت باحاول

أشرحلك.

- أنا مش عايزك تشرحلي، أنا عايز «طاهر»، أنا في ١٠٠ سؤال في مُخي، مش هارتاح غير لما أشوفه.

- هو مين؟

كرّر «هشام» السؤال، فصرخ «حلمي مهران» الذي بدأ تأثير قلة النوم يزيد من عصبيته، خاصة أنه كان في حاجة إلى دوائه الخاص، الذي يذهب بألم رأسه المستمر.

- تاني يا «هشام»! «طاهر».. «طاهر العلايلي»، ما أنت بنفسك اللي مطلعلي الاسم، هو طلع هربان ولّا خرج؟

- لأ ما هو ماخرجش.

- يعني هرب؟!

يتوقف «هشام» لحظة ثم يقول في تنهُّد:

- لأ ما هو ماهربش برضه.. هو ميت!

يتوقف «حلمي مهران» عن الحركة، وهو يسمع صوت «المتصل» الآن حين كرّر كلامه: «أنا في السحاب».

***

من السجن الانفرادي كان «طاهر» الآن يكتب تلك الرسالة:

«زوجتي الحبيبة، آسف على كل تلك الظروف التي وضعتكِ بها، مَن هم مثلي لا يجب أن يكونوا في مثل هذا السجن، لكن هذا كان قدري، لم أستطع الهروب منه،

أعرف أنهم قيدوا حريتكِ وصِرتِ حبيستهم، كما أعرف أنهم سيُبقونكِ حبيسة طوال فترة سجني، حتى أخرج يومًا وأحقق ما يطلبون؛ لذا قد قررتُ أن أهبكِ حريتكِ، وأن أدفع ثمنها حياتي، فلقد كنت حيًّا من أجلكِ منذ البداية، وهنا لم أعُد أتحمّل، قبلكِ كنت منبوذًا غريبًا يُعاملني الجميع كالمجنون. بينما من بعدكِ صرتُ هذا العبقري الذي يحترمه الجميع. سامحيني، لم يكن موتُ ابني مُقدرًا؛ لذا سوف أسبقكِ لأطمأن عليه، خالص حُبي لكِ عزيزتي».

أنهي «طاهر» كتابة جوابه ثم وقّع باسمه راسمًا رسمة الجمجمة ذات الشكل الإلكتروني، ووقف حيث هذا الحبل المعقود داخل زنزانته، والموضوع عند النافذة!

***

من النيابة يُكمل «هشام» حديثه إلى «حلمي مهران» الذي يتذكر للتو الجمجمة التي كان يرتديها «المتصل» مُتسائلًا:

- هو انتحر إمتى؟

يسترجع «هشام» ظهره:

- من سنتين يا «حلمي».

يشعر «حلمي مهران» للتو بالذهول والدوار!

- يعني إيه؟! مين اللي عمل فيّا كل ده؟!

- ما هو ده اللي إحنا بنحاول نعرفه.

- طيب مامسكتوش حد من اللي كانوا لابسين الوشوش دي؟

تساءل «حلمي مهران»، فتابع «هشام» إجابته:

- وصلنا لأكتر من واحد فيهم، غير طبعًا الولد اللي ضربت عليه نار.

- طب اتعرفتوا عليهم؟

- كلهم متأجرين.

- سوابق يعني؟!

سأل «حلمي مهران» ليُجيبه «هشام»:

- لأ، أغلبهم من الناس اللي بيكونوا عارضين خدماتهم على النت، أي حد محتاج حاجة بيعملهاله.

- بس دول خارجين عن القانون، في واحد منهم كان في بيتي!

- بس هو ماعملش حاجة غلط، لأنه دخل بمفتاحك وبرسالة شخصية وصلته من تليفونك، وفي الأول والآخر هو اتطلب منه يدخل بيتك يجيب شنطة وخرج...

يتوقف لحظة ثم يتابع:

- طبعًا ده غلط وهيتحاسب، بس في على النت أكتر كتير من كده، إحنا لسة الحمد لله على قدّنا في الجرايم دي، برا بتحصل مصايب أكتر من كده بكتير يا «حلمي»، الناس مش عارفة إحنا داخلين على إيه!

***

من على شاشة الإنترنت يظهر الرجل الذي ضرب عليه

«حلمي مهران» النار حين كان يرمق الإنترنت، قبل أن يستقبل تلك الرسالة.

«هل أنت جاهز للعمل؟».

يبتسم الرجل ويجيب.

«أيوة».

يكتبها قبل أن يسمع للتو صوتًا لجرس بابه فيذهب ويفتحه، فيجد عند بابه على الأرض قناعًا مع ورقة بها مهمته البسيطة، في لعبة صغيرة مقابل آلاف من الجنيهات.

***

من مكتب «هشام» تابعَ هو للتو قصّ الحقائق:

- الناس اللي اتعيّنت يا «حلمي» كل واحد فيهم جاتله رسالة بالشغلانة المطلوبة منه بالضبط، وكلها زي تحديات كده مُنتشرة جدًّا بين الشباب بالذات.

حاول «حلمي مهران» فَهْم كل تلك المتغيرات، بينما تابع «هشام»:

- كل واحد منهم استقبل الطرد بالمطلوب ومعاه نفس الماسك اللي كانوا كلهم لابسينه، كأنهم بيلعبوا لعبة، بس ماحدش كان عارف مين اللي بيلعب بيهم، علشان كده كنت بتشوف «طاهر» في كل حتة، لأنهم ببساطة ماكنوش واحد، دول كانوا كتير.

- بس ولا واحد منهم «طاهر»!

قالها «حلمي مهران» الذي أدرك الواقع الغريب للتو:

- بالضبط كده، يعني السواق اللي معاك هناك، غير اللي كان مع طليقتك، وهكذا...

يقولها وهو يهرب من عينَيْه.

- طب مين اللي دفعلهم ودفعلهم إزاي؟!

يسكت «هشام» للحظات ثم يُتابع بنبرة هادئة:

- ما هي دي المشكلة!

كل واحد منهم اتحول على حسابه الرقم اللي اتفق عليه.

- طب ما نجيب صاحب الحساب اللي يحوّل منه!

توقف «هشام» عائدًا إلى مكتبه وهو يقول:

- ما إحنا جيبناه.

- طلع مين طيب؟!

- هو أنت حقيقي مش عارف؟!

تساءل «هشام»، ليعود «حلمي مهران» بظهره إلى الخلف وهو يقول:

- أنا طبعًا.. صح؟!

- للأسف يا «حلمي»، فعلًا، أصل الحساب اللي دفع لكل الناس دي هو حسابك أنت البنكي.

شعر «حلمي مهران» بالهزيمة واليأس! بينما أكمل «هشام»:

- حتى الراجل اللي أخد ابنك ومراتك، كان برضه

برسالة مبعوتة من تليفونك.

- ما هو كان راكب تليفوني...

- ووداهم مصنع «ماجد أبو الروس».

- أنت عايز تجنني، ما أنت جيت بنفسك وشوفت.

- شوفتك وأنت بتضرب نار على واحد هناك. وكان سايبلك تسجيلات أنت بنفسك دافعله علشان يعملها!

يتعرّق «حلمي مهران»:

- يعني إيه؟!

- يعني الموقف مُعقّد أوي يا «حلمي»، بس أنت محامي شاطر، أولى بيك تترافع عن نفسك.

- هو أنا متهم؟!

يهرب «هشام» من نظراته:

- لسة بدري على الكلام ده يا «حلمي»!

- أيوة بس أنا عايز أفهم مين اللي عمل فيا كده يا «هشام»، أنا مش مجنون.

- متأكد!

تساءل «حلمي مهران» العائد من تجربة الجزيرة النفسية، والذي بات يشك في قُواه العقلية بالفعل.

- عمومًا يا «حلمي»، كله هيبان أكيد. تقدر تمضي دلوقتي وتمشي، أنت تعبان أوي، بس طبعًا أنت عارف ماينفعش تسافر من غير ما تبلغنا.

يقولها بقسوة مهنية، ليوقّع «حلمي مهران» ويخرج رافضًا مصافحة «هشام»، ليخرج ويجد «ماجي» هناك تنتظره. لم يُحدثها، فبات يشعر بالجنون، ولكنها تخرج معه حتى ترافقه إلى منزله بسيارتها الذي ركبها على مَضض.

من السيارة ظل «حلمي مهران» يرمق السحاب بنظرة غريبة، مثل نظرته المختلفة لكل شيء، حتى توقفت «ماجي» عند تلك الإشارة التي رمقها مُتذكرًا حديث «المتصل»:

«اللي زيي بيعرف يخترق أي حاجة فيها الروح.. قصدي أي حاجة مفيهاش روح».

يضع «حلمي مهران» يده على عينيه ليتجنب الكاميرا، ثم يهرب مُمسكًا الهاتف، قبل أن يتذكر أنه كشف أسراره، فإذ به يُغلقه هو الآخر مُتحدثًا إلى نفسه:

«أول مرة القانون اللي باخدمه طول عمري يعجّزني وأحس بالظلم ده! أنا كنت أعمى وفتّحت، بس لما فتّحت حسيت بشَك في وجوه كتيرة، بس الحقيقة الوحيدة إن اللي يعمل كل ده مستحيل فعلًا يكون بني آدم!».

تصل «ماجي» عند عقار «حلمي مهران» فيترجّل من السيارة، مُتجهًا إلى عقاره، قبل أن يجد جاره «خالد» صاحب المتجر لا يزال هناك بجانب سيارته التي استعارها في بداية الأحداث. يتجه إليه مادًّا يده:

- شكرًا جدًّا يا أستاذ «خالد».

يظهر الاندهاش على «خالد» جاره الذي يبتسم رغمًا عنه:

- على إيه يا ابني؟! الجيران لبعضيها، أنت بس ابقى ارمي السلام!

يبتسم «حلمي مهران» وهو يقول:

- السلام عليكم.

حيّاه الرجل وتركه ليدخل مُصاحِبًا لـ«ماجي» التي رافقته؛ حيث فتح لهما «حجاب» الذي كان قد عاد بالفعل.

من الداخل توجّه «حلمي مهران» إلى مكتبه، فجلس يرمق السقف، بينما تابعته «ماجي»، فسألها:

- أنتِ قَريتِ قضية «طاهر»؟

- قريتها مع «هشام» قبل ما نجيلك.

- هو «طاهر» كان بريء؟

سكتت «ماجي» للحظات، فكرر سؤاله، لتُجيب:

- هو في حاجة مش منطقية، يعني أعتقد لو كنت قريت قضيته دلوقتي بعد...

توقفت لحظة ليُقاطعها هو:

- بعد ٣١ أكتوبر!

مُشيرًا إلى حياته بعد الحادث. قالها لتومئ هي برأسها بالإيجاب:

- أعتقد كنت هتدور على سِر يبرؤه.

يقف «حلمي مهران» تاركًا غرفته لتسأله «ماجي»:

- رايح فين؟

- أنا محتاج أنام.

دون أن يلتفت قالها، وهو يرمق «حجاب» بنظرة عدم اطمئنان، ثم توجه إلى غرفته.

***

(١٠)

من داخل تلك الجزيرة وجد «حلمي مهران» نفسه أعلى تلة عالية يختبئ من شيء ما. توقف يرمق المكان في الأسفل، فلقد كان يعرف تلك الجزيرة بالفعل، بديعة من صُنع الخالق، تتناغم فيها كل جماليات الطبيعة، فالبحر الأزرق الصافية مياهه حول الجزيرة، بينما شواطئ الجزيرة من الرمال الصفراء، تتوغلها الزراعات الخضراء التي تُسعد الناظرين، فكانت الجزيرة بالفعل كالجنة، خاصة مع بداية شروق الشمس في تلك اللحظة التي بدأت تظهر فيها. شردَ «حلمي مهران» للحظات في جَمال خَلْق الخالق مُتناسيًا همّه، قبل أن يسمع خطوات من خلفه فالتفّ مُتوترًا ليجد أصدقاءه الصحفيين: «تيم» و«حنان» و«سالي»، كل منهم يُمسك بهاتفه يكتب شيئًا ما وهو يضع نظارة على عينيه، كما كان ثلاثتهم واضعين سماعات الأذن، يسير كل منهم بخطوات سريعة، فاندهش وبدأ مناداتهم، إلا أن أيًا منهم لم يرد، حتى بدءوا الاقتراب من حافة التلة، فأسرع يحاول إيقافهم، إلا أن كلًّا منهم كان في مكان مُتجهًا كالمنوَّم مغناطيسيًّا إلى الهاوية. كرر «حلمي مهران» صراخه دون أن يسمعوه من السماعات، فوصل إلى «حنان» ليستوقفها فدفعته وهي مُستمرة في خطواتها حتى وقعت في الهاوية ومن بعدها «تيم» و«سالي»، اندهش «حلمي مهران» مصدومًا قبل أن يجد الكثيرين من معارفه حالهم حال الصحفيين الثلاثة، الجميع يُمسك هاتفه مُتوجهًا ناحية الهاوية، فالتفّ «حلمي مهران» ليرمق ما في الأسفل فوجد

بعض الرجال الآليين يقومون بدفن كل مَن يقع بعد تطهيره من أعضائه العاملة. هابَ «حلمي مهران» الموقف ورجع خطوات إلى الخلف بينما من جانبيْه يهرع الجميع للقفز عن اقتناع غريب، لم يرمق أيٌّ منهم جَمال الشروق، بدأ «حلمي مهران» الهروب داخل عُمق التلة، ليجد الجنون سيد المشهد، حيث كان البعض نائمين داخل مسرح ما داخل كبسولات طبية تمتص دماءهم، بينما كانوا هم شاردين يرمقون ما تبثه لهم نظاراتهم ثلاثية الأبعاد التي يرتدونها مُجسدة لهم ملذات غريبة، فمنهم رجل كان إلى جوار زوجته الجميلة مُعطياً إياها ظهره يراقب جَمال جسد أخرى تجسّدت أمام عقله المريض، ومنهم أخرى ترمق فنانها المفضّل؛ وهو يغني لها بصوت العندليب الأسمر.

زاد هلع «حلمي مهران» وهو يهرب من مكان إلى آخر، مُعطياً ظهره للشمس وشروقها، مُتجهاً ناحية الظلام شيئاً فشيئاً، حتى بدأت الرؤية تُصبح أكثر ضبابية، وعادت الصورة غير واضحة فسمع مَن يهمس إليه عارضاً له الخلاص عن طريق نظارة تنير له الطريق. أمسكها «حلمي مهران» أخيراً فاتضحت الصورة الكاذبة، حيث وجد أمامه للتو «أمنية» تتحدث إليه دون أن يسمع فأشارت له أن يضع سماعة الأذن فوضعها للتو، فسمعها تضحك.

- أنت جيت يا «حلمي»؟

ابتسم للتو وهي تتابع:

- لسة وجع راسك بيزيد؟



أومأ برأسه للتو بالإيجاب.

- من النهارده مش هتحتاج مورفين ولا مُسكِّنات، تعالَ أنا هاورّيك الجنة فين!

قالتها وهي مُشيرة إلى السحاب التي رمقها «حلمي مهران» من بعيد مُبتسمًا غير مُنتبه من حقيقته الكاذبة، فلقد كانت «سحابة» رقمية، مُكونة من أرقام صغيرة ترسم صورة مُشوشة لم ينتبه لها «حلمي مهران» المسيَّر خلف «أمنية» التي أسرعت من أمامه إلى خلفه، ليلتف ويعود هو أدراجه خلفها حيث كان، ولكنه لم يكن الآن يرى الطريق، بل صار أعمى خلف صورة «أمنية» يتبعها مثل غيره إلى الهاوية، بينما حوله كان مَن لم يَحِن دورهم ينادونه وعلى رأسهم «ماجي» التي ظهرت أعلى التلة، ولكنه دفعها أرضًا فلم يرها من نظارته ولم يسمعها من سماعته وأكمل الطريق خلف صورة «أمنية» التي ابتسمت له حين وقع في الهاوية، ليسقط «حلمي مهران» ويبتسم له هذا الآلي الذي يبدأ عمله في دفن جسد فانٍ بعد استئصال ما ينفع منه، زارعًا إياه في أرض الأحلام.

***

استيقظ «حلمي مهران» مفزوعًا للتو من رؤيته في حال يُرثى لها، وقد ملأ الصداع رأسه، فتوجه إلى علبة دوائه مُسرعًا ليأخذ قرصًا بسرعة، فهدأ وعادت إليه أنفاسه، قبل أن يسمع رنين الهاتف للتو في تلك الساعة المبكرة، فاندهش وهو يرمق الرقم الذي حفظه عن ظهر قلب.

- إزيك يا «حلمي»، وحشتني.

ضاحكًا قالها «المتصل»، فقفز «حلمي مهران» من سريره، وهرع إلى الخارج.

- أنت مين يا بني آدم؟!

- تاني يا «حلمي»، ما أنا مش بني آدم!

- كفاية بقى، «طاهر» مات من سنتين.

ضاحكًا يُكمل «المتصل» موضحًا:

- بس أنا اللي زيي مابيموتش!

قالها «المتصل» ثم توقف لحظة شعر فيها «حلمي مهران» بالشك قبل أن يُكمل:

- أنا أقرب واحد منكم، أنا خط التليفون اللي باسمعكوا وأنتو بتتكلموا يا «حلمي»، أنا شفرة الرسالة اللي بتقرا الرسايل قبل ما تبعتها.

يقولها «المتصل» لتُفتح للتو إضاءة الصالون فيتوجه إليها «حلمي مهران».

- أنا سركوا يا «حلمي»، أنا الوحيد اللي البشر كلهم بيتعروا قُدّامه!

وصل «حلمي مهران» إلى المكان المضيء؛ ليفتح التلفاز هناك من فوره، ظاهرة صورة صاحب القناع:

- أنا مُحتوى التلفزيون اللي بتشوفه يا «حلمي». ما أنا قولتلك قبل كده؛ أنا كل حاجة حواليك، بس مفيهاش

الروح، لأن أنا ببساطة بابقى روحها، شوفت بقى إن أنا «روحي فيك»!

يترك «حلمي مهران» الهاتف الذي يقع فجأة وهو يخرج إلى التراس، بينما يُكمل صوت «المتصل» حوله في المكان:

- عِرفتني ولّا لسة؟ أنا السحاب يا «حلمي»!

يقولها ليرمق «حلمي مهران» السحاب الذي ينقل المعلومات، فيقولها بصوت جهور:

«THE CLOUD»!

***

من مكتب «هشام» يظهر «حلمي مهران» إلى جانب «ماجي» يُكرر شرح ما توصل إليه من جنون، بينما هو يتحرك هنا وهناك في حيرة من أمامهما:

- أنت فاهم أنت بتقول إيه يا «حلمي»؟!

سأل «هشام»، ليُجيبه «حلمي مهران»:

- الصراحة لأ...

تجلس «ماجي» في توتر:

- الغريب إن الكلام ده يطلع منك أنت يا «حلمي»، لو طلع مني كنت أنت هتقول عليّ مجنونة.

- ما أنتِ مجنونة!

- مش أجن من اللي بتقوله!

- بس أنا مش فاهم اللي قولته بالضبط، لكن مُقتنع

بالفكرة...

قاطعهما «هشام» متسائلًا:

- يعني أنت عايز تقول إن الذكاء الاصطناعي هو اللي عمل كل ده؟!

- أيوة.. السحاب!

أجابه «حلمي مهران»، فتدخل «ماجي»:

- «الكلاودز» دي مفهوم كل حاجة متسجلة عنا في الجو، سِر كل واحد فينا حرفيًّا يا جماعة. هو ده اللي وصله «طاهر» قبل ما يموت؟

- ماأعرفش.

قالها «حلمي مهران»، فتدخل «هشام»:

- إحنا لازم نقول للواء «ضياء».

- وهو هيصدّق اللي إحنا بنقوله ده؟!

- أكيد لأ، بس عندك حل تاني؟

يسكت «حلمي مهران» موافقًا صديقه، فيتوجه ثلاثتهم إلى اللواء «ضياء» الذي استقبل جنونهم بصبر غريب؛ فلقد صار العالم جنونيًّا على أي حال!

- أنا مش فاهم الجنون ده!

قالها للتو «ضياء» في حالة اندهاش، فبدأ «هشام» التوضيح:

- سيادة اللواء، حضرتك أستاذنا وعلّمتنا نتطور في كل

حاجة تحت إشرافك.

- أنا مش باتريق يا «هشام»، أنا حقيقي محتاج أستوعب.

تدخّلت «ماجي» مُتطفلة، فقالت:

- حضرتك ماشوفتش مؤخرًا الفيديوهات اللي بتطلع للأغاني الجديدة، بمُغنيين قُدَام زي عبد الحليم وأم كلثوم؟!

- أيوة شوفتها، واتكلمنا عليها، وعلى ثورة تركيب الفيديوهات والأصوات.

تدخّل الآن «حلمي مهران» موضحًا:

- كل ده حصل بالذكاء الاصطناعي، ومؤخرًا في ناس كتير، وهنا في مصر مش برة، بدءوا يشغّلوا الذكاء الاصطناعي كمساعدين ليهم، واضح إني ظلمت «طاهر» زمان. مخلوق بالذكاء ده مُمكن يكون حاول يستنجد فعلًا بالداخلية!

ظل «ضياء» شاردًا لتتابع «ماجي»:

- برة مؤخرًا اكتشفوا تصرفات مش منطقية من الذكاء الاصطناعي!

- زي إيه؟

تساءل اللواء «ضياء» لتُجيب «ماجي»:

- لما بياخد أوامر محتاجة تدخُّل بشري، بيعيّن بني آدمين ويبعتلهم فلوس من حساب أصحاب الشغل.

اعتمد إجابتها «حلمي مهران» للتو:

- أنا و«هشام» لما كُنّا في إدارة التوثيق والمعلومات، كُنّا بندرس الكلام ده.

نظر اللواء «ضياء» إلى «هشام» الذي أكّد المعلومة قائلًا:

- دي حقيقة، وفي دلوقتي أكتر من حالة اتحولها فلوس علشان تقوم بأوامر بسيطة من الذكاء الاصطناعي، زي توقيعات وتراخيص.

قالها «هشام» ليُكمل «حلمي مهران»:

- اللي يخلينا نقابل ده ونشوفه، يخلينا نصدّق إن «طاهر» ممكن يكون مبرمج البرنامج ده قبل ما يموت، زي فيروس زرعه والذكاء الاصطناعي طوّره علشان يتنفذ دلوقتي!

يقف اللواء «ضياء» في توتر، فيسأل «حلمي مهران»:

- حضرتك مش مقتنع؟!

يلتفت اللواء «ضياء»:

- لأ يا «حلمي»، مش دي الإجابة الصح، الإجابة الصح إني مش عايز أقتنع، لأن لو اللي بتقولوه ده صح، ولو بنسبة واحد في المية، يبقى المستقبل اللي إحنا رايحينه أصعب بكتير من تاريخ الإجرام البشري كله!

يجلس اللواء «ضياء» مُتحدثًا إلى نفسه في قلق عارم:

«لأن معنى كده إننا هنحارب نفسنا، كل واحد منا هيحارب نفسه، كل واحد سايب سِر في تليفونه، تليفونه هيحاربه، كل واحد بيبعت رسالة هيتفضح، هنشوف

أوسخ ما فينا، وهنخسر الحرب قبل ما نحاربها...».

يقاطع حديثه صوت رنين الهاتف، فيمسكه ويسمع الأخبار الجديدة.

- إمتى حصل الكلام ده؟

تساءل ليسمع ما حدث قبل أن يغلق الهاتف مهمومًا:

- حصل إيه يا سيادة اللواء؟!

تساءل «هشام»، ليُجيبه «ضياء»:

- حصل اختراق تاني للبورصة النهارده!

ذهل الجميع عدا «حلمي مهران» الذي ابتسمَ للتو، مُوافِقًا على هذا التحدي.

***

(١١)

من أحد استوديوهات قناة إعلامية مشهورة، كان المذيعُ المخضرم يتوسط ديكور برنامجه مندهشًا من الخبر، ثائرًا وهو يتحدث إلى الجمهور على الهواء مباشرة في غضب:

«يعني إيه حد ينجح في اختراق البورصة للمرة الأولى، ما هي حصلت من كام سنة، واتقبض على اللي عملها، لكن النهارده الاختراق حصل فعلًا ولمدة ١٦ ثانية، يمكن مايكونش حصل فيهم شيء مهم، لكن الفكرة إن ده تهديد واضح لاستقرار الاقتصاد»،

يقولها في ثورة قبل أن يُمسك سماعة أذنه مُستقبِلًا مكالمة مرّرها له المخرج من الكنترول:

- طب إحنا معانا مُداخلة من النيابة العامة، من المقدم «هشام»، أهلًا يا فندم.

يتدخل «هشام» عبر البرنامج هاتفيًّا ليقول:

- أهلًا يا فندم، أولًا أنا أحب أطمن حضرتك إن الاختراق ده كان مدروس من جهتنا.

- يعني إيه؟!

تساءل المذيع، ليُجيبه «هشام» قائلًا:

- يعني إحنا كنا محتاجين نعرف الجهة اللي حاولت تعمل الاختراق الأول مش أكتر.

يندهش المذيع مُتسائلًا:

- هو مش ده كان اتمسك؟! كان اسمه «طاهر العلايلي» على ما أظن!

- لأ، «طاهر العلايلي» كان بريء، هو كان مجرد واجهة، كنا محتاجينها لغاية ما نوقّع اللي وراه.

اندهش كلٍ مَن هُم بالاستوديو قبل أن يُتابع «هشام» الذي أعطاه مُديروه الإذن في التدخل المشروط:

- والحمد لله، المنظومة كلها وقعت، وقريب جدًّا هنُنشر التفاصيل.

- لأ، حيث كده إحنا نستنى ونشوف.

- هتشوف.. وقريب أوي.

قالها «هشام» وأنهى المكالمة من داخل مكتب اللواء «ضياء» بعد نقاشهم بعدة أيام، تم فيها اكتشاف الكثير والكثير، ليقترب اللواء «ضياء» من «هشام» قائلًا:

- برافو يا «هشام»، يلّا بقى كمّل التحقيق، القضية دي قضية رأي عام، ولازم نصلّح اللي اتكسر، وزي ما اتفقنا يا «هشام».. بني آدم!

علّق «ضياء» الذي أصرّ على إسناد التهم إلى جَانٍ واضح من بني الإنسان حتى يتقبله الشارع المصري، بشرط أن يكون الجاني بالفعل مذنبًا، فيتقبل «هشام» التحدي قائلًا:

- طب حِيث كده.. ممكن أطلب طلب؟

قالها «هشام» فجلس «ضياء» ليعرف طلبه.

- أنا ممكن أستغل «حلمي مهران» معايا؟

- لأ طبعًا.

يقولها «ضياء» وهو يضحك، فيتفهّم «هشام»، ويخرج من مكتب مديره حيث كان «حلمي مهران» بالفعل بانتظاره مع «ماجي» بالخارج، ليرمق كليهما ثم يوجه كلامه إلى صديقه:

- لو عايز تطلع براءة بجد يا «حلمي»، لازم حد يدفع التمن.

ابتسم «حلمي مهران»:

- ثق في الحكيم وإن لم تُدرِك الحكمة!

قالها «حلمي مهران» في محاولة لكسب ثقة «هشام» ليؤكد له الأخير الهدف:

- بس أحنا محتاجين بني آدم يا «حلمي»! ده المطلوب! بنيٍ آدم الناس تشوفه وتعرف تحاسبه، والأهم يطلع الجاني فعلًا، إحنا بطّلنا نصبّر الناس.

- ماتخافش، إحنا هَنداوي المشكلة مش هنسكّنها، ما هو ما عفريت إلا بني آدم!

لم تفهم «ماجي» ما يرمي إليه «حلمي مهران»، قبل أن يطلب رسميًّا حقه في الادّعاء بالحق المدني ضد «ماجد أبو الروس».

***

من مكتب «هشام» جلس «ماجد أبو الروس» أمامه، بينما كان «حلمي مهران» جالسًا على الأريكة يراقبه.



- منور يا «ماجد» بيه.

قالها «هشام»، فظهر التوتر على الرجل أمامه متسائلًا:

- أنا مش عارف الصراحة أنتو جايبني هنا ليه!

- يمكن علشان اكتشفنا إن في خمسين مليون دخلوا في حساب شركتك وقت اختراق البورصة؟!

- أنا معرفش حاجة عن الموضوع ده.

نفى «ماجد أبو الروس» حقيقة تلك الأموال، فتابع «هشام»:

- طيب أنا عندي اتهامات وادعاءات بالحق المدني هنا من أكتر من حد، بيدّعوا إنك عامل شركة للنوابغ في التكنولوجيا، وبتحاول تجنّدهم للتخريب في البلد!

- كذب. أنا باحاول أنفعهم وأقدملهم خدمات.

- وبتطلعهم كلهم برة مصر؟!

قالها «حلمي مهران» من على الأريكة، فسأله الرجل:

- أنا باشبّه على سيادتك، هو حضرتك مين؟!

ابتسم «حلمي مهران» وهو يقول:

- أنا «السحاب»!

ابتلع الرجل ريقه غير مُتفهّم، ليتدخل «هشام»:

- جاوبنا يا «ماجد» بيه.

- أنا باسفرهم علشان ياخدوا فرصة أحسن.

- عمومًا ده اللي هنشوفه.

يقولها «هشام» قبل أن يتابع «ماجد»:

- أصلًا الشركة دي مش باسمي، وصاحبها موجود معايا، وهو مُعترف بأي حاجة أنت عايزها، ومعايا تسجيلات وفيديوهات تأكد ده.

- لأ ما إحنا للأسف مابقناش ناخد ولا بالتسجيلات ولا الفيديوهات، طالما من غير أمر من النيابة، وعمومًا أنت قاعد معانا شوية المرة دي.

- أنت ماتعرفش أنا مين؟!

قالها «ماجد» في توتر، فتدخل «حلمي مهران»:

- بالعكس، إحنا عارفين كويس أنت مين.

- أنا عايز المحامي يا ريت.

يبتسم «حلمي مهران» وهو يقف:

- أكيد هتحتاجه.

- إشمعنى؟! هو في إيه بالضبط؟!

تساءل الرجل بينما اقترب منه «حلمي مهران» خطوة قائلًا:

- هاشرحلك، بس المهم تفهمني.

***

من المحكمة كرّرها «حلمي مهران» الآن مُترافعًا أمام هيئة القضاة، في تلك القضية التي تَرافع فيها عن «طاهر

العلايلي» ليُبرئ له اسمه بعد سنوات من الظلم:

«وبعد مراجعة القضية والأدلة الزائفة التي قدمها المتهم،

والتي تُثبت إدانته وليس العكس،

فإنني أُطالِب عدالتكم بالحكم بأقصى العقوبة

على المتهم «ماجد أبو الروس»،

كما أطالب عدالتكم ببراءة المرحوم «طاهر العلايلي»؛

الذي قضى سنوات عُمره الأخيرة،

حبيسًا بين جدران السجن؛ ليدفع ثمن غلطة هذا الجاني،

الذي طالما استغلّ مواهب مصر للاستفادة المادية والمعنوية منها؛

مقابل ابتزازهم بأُسَرهم، والآن يتوجّب علينا القصاص،

القصاص من كل مَن تُسوّل له نفسه أن يبتزّ مُواطنًا مصريًّا صالحًا، كـ«طاهر العلايلي»».

أنهى «حلمي مهران» مُرافعته وسط تصفيق حاد من جميع الحضور؛ الذي كان رجال الصحافة على رءوسهم يُدوّنون ما يحدث في ترقُّب؛ لتنعقد الجلسة للمُداولَة، لدقائق معدودة، قبل أن يعود القاضي إلى عرش عدله ليقول:

«حكَمت المحكمةُ حضوريًّا، على المتهم: «ماجد أبو الروس»،

بالسجن المشدّد خمسة عشر عامًا».

هلَّل جميعُ الحضور في فرحة وشماتة فلقد أتعس الرجل الكثيرين، قبل أن يُكمل القاضي حُكمه:

«كما قضت المحكمة غيابيًّا،

ببراءة الراحل «طاهر العلايلي» من كل التهم التي نُسبت إليه،

كما ألزمت المتهم الأول «ماجد أبو الروس»

بتعويض عائلته عن كل الأضرار التي تعرّض لها.

رُفعت الجلسة».

سمع «حلمي مهران» الحكم وسط تهليل الجميع، ولكنه تركهم وأسرع مُغادرًا قبل أن ينتبه الجميع، فلقد كان يريد أن يدفع دَيْنه، فخرج وتوجه إلى دراجته البخارية التي أعادها له مجهول مُقنّع إلى منزله، وتوجّه مسرعًا إلى منزل «درية» التي استقبلته دون سابق معرفة كما ادّعت.

- أنا عارف إن التعزية جات متأخر!

تسخر «درية» زوجة «طاهر» وهي تُجيب «حلمي مهران»:

- حسب.. بتعزيني في ابني ولّا جوزي!

سكت «حلمي مهران»، ثم أخرج هاتفه مُعطيًا إياها له لتقرأ خبر براءة زوجها وهو يقول:

- «طاهر» ماماتش يا مدام «درية»!

تندهش «درية» في أمل، ليوضح مقصده:

- اللي زي «طاهر» مابيموتش، ودي شهادة براءته.

تَدمع الزوجة للتو، فيُكمل «حلمي مهران»:

- «طاهر» دفع تمن حُريتِك، بس خلاص أنتِ مابقتيش في سجن، و«ماجد أبو الروس» مش هيخرج قُريب.. أوعدِك.

يقولها وهو يقف، بينما تظل الزوجة تبكي ضاحكة بمشاعر مختلفة، فتركها وعاد إلى دراجته البخارية يقودها كعادته وحيدًا في شوارع القاهرة وقد شعر بالكثير من الألم، وخصوصًا للخطر الذي عاشته «وعد» وعائلته، فتوجه إلى بيتها رغمًا عنه، ليظل هناك في الأسفل لساعات حتى رمقهم أخيرًا في الأعلى؛ حيث خرجت «وعد» أخيرًا حاملةً ابنتها ليحتضنهما «فؤاد» مُطمئنًا إياهما لوجوده، بينما ظل «حلمي مهران» هناك مُنكسرًا قبل أن يشعر به «وليد» الذي طلبه على الهاتف، فظل يبحث عنه بعينَيه فوجده من نافذة غرفته، فأجابه:

- «وليد» حبيبي.

- وحشتني يا بابا.

- أنت أكتر.

- أنا عايز أقولك حاجة، أنا ماكُنتش خايف، كنت متأكد إنك هتيجي علشاني، علشان كده ماعيّطتش.

ابتسم «حلمي مهران» فرحًا من كل قلبه، قبل أن يُتابع الابن:

- ماما كمان كانت بتقولي كده، كانت عارفة إننا ماينفعش نخاف وأنت موجود!

قالها الابن مُنهيًا هذا الاتصال الذي كان بمثابة قُبلة حياة جديدة لـ«حلمي مهران» الذي هدأ وعاد بدراجته البخارية إلى مكتبه أخيرًا، حيث كانت «ماجي» في انتظاره؛ ليحتفلا معًا بالنجاح، إلا أن «حلمي مهران» صدمها في قراره برغبته في التوقف عن المحاماة، بعد تلك التجربة القاسية.

- أنا مش فاهمة ليه بتقول كده، ده أنت لسة كسبان أهم قضية في حياتك!

قالتها «ماجي» مُندهشة ليُجيبها «حلمي مهران» مُعللًا:

- بالعكس يا «ماجي»، دي القضية الوحيدة اللي خسرتها!

كان يقصد أن هذا السجين كان قد تم إيداعه السجن بسبب «حلمي مهران» في الماضي.

- أنت كنت بتشوف شغلك، ماغلطتش، وبعدين ده كان زمان يا «حلمي»، وعلشان كده أنت موجود هنا، على الكرسي ده.

مُشيرة إلى مقعد مكتبه للمحاماة، وتابعتْ:

- عارفة إن «طاهر» إدّاك درس عُمرك، وهو ده المهم. خسارة تخلي موته يروح هدَر! البلد كانت محتاجة موهبة زي «طاهر» بس خسرناه، وإحنا مش هنخسرك أنت

كمان يا «حلمي»!

- بس أنا مش قادر أشتغل يا «ماجي»!

- علشان كده أنا كتبتلك إجازة إجبارية، أسبوع مأأشوفش فيهم سيادتك هنا. تاخد ابنك وتتفسح بيه في أي حتة.

يبتسم «حلمي مهران» مُتقبّلًا تلك الإجازة أخيرًا.

- وبعد كده ترجع علشان نقفّل قضيتك. أنت كنت هتبقى سوابق!

ساخرة قالتها قبل أن يتذكَّر شيئًا ما:

- طيب بخصوص قضيتي بقى، إحنا عايزين نقدم طلب مهم لـ«هشام».

- خير؟!

يطلب منها «حلمي مهران» هذا الطلب الغريب الذي ستطلبه هي من «هشام» بالتبعية، فيندهش ويدرس هذا الطلب مع مُديريه، الأمر الذي قُوبل بالقبول أثناء تواجد «حلمي مهران» في الإجازة!

***

(١٢)

أنهى «فؤاد» قص شكواه على الطبيب النفسي «علي» الذي كان هو سِر «حلمي مهران» في الأساس، ليحكي له «فؤاد» مدى كُرهه لغريمه الأساسي في الحياة «حلمي مهران» الذي لم يغفر له أبدًا تعرُّض ابنته «إيمان» للخطر بسببه.

لم يُعلق الطبيب «علي» الذي كان يرتدي قناعًا هو الآخر يُخفي فيه تشوّه وجهه، وظل يُدوّن أسرار «حلمي مهران» مُستمتعًا، حتى أنهى الرجل جلسته وغادر ليتصل «علي» نفسه بـ«حلمي مهران» يُبارك له قضيتَه الجديدة، ولكن كانت تلك المباركة هي مجرد تذكير بموعد جلسة جديدة. اقتنصها «حلمي مهران» الذي حضر ليقُص على طبيبه أسرار تلك القضية الجديدة في عالم «حلمي مهران» الذي درسها كثيرًا، ليُدوّن بدقة كل تفاصيلها، خاصة هروب «حلمي مهران» مؤخرًا من قناع «ابن آوى»؛ فلقد كان بالفعل يبحث عن عطلة، صار اليوم يبتغي الهروب من حقيقته؛ بحثًا عن الهدوء، بعد كل هذا العصف الذهني الغريب الذي تعرض له؛ الأمر الذي أيّده «علي» الذي كان لا يزال ينتظر الوقت المناسب للضغط على «حلمي مهران» مُستعينًا بكل أسلحته.

***

من أمام البحر يظهر «حلمي مهران» بملابس السباحة مُستمتعًا بعطلته وهو يمضغ العلكة وهو يستمتع بالمشهد

دون هاتفه، بينما يرمق مَن حوله مُندهشًا؛ حيث كان الجميع يُمسكون هواتفهم تاركين جَمال هذا المنظر الخلاب، لحظات من المتعة مرّت قبل أن يلتف؛ فلقد كان «حلمي مهران» قد جلبَ ابنه وبعض أصدقائه مع أطفال الملجأ، في رحلة ساحلية مختلفة بشرط ترك الجميع لهواتفهم!

يُخرج «حلمي مهران» اللبانة من فمه، ويُخرج أخرى من نفسِ العلبة التي كان يستخدمها «المتصل»، ثم يقف ويلتف مُعطيًا البحر ظهره ويتحرك ناحية الأطفال عند الشاطئ، فيقترب من «وليد» متسائلًا:

- أمال فين «طارق أمين» صاحبك؟

- أنا هنا يا أُونكِل.

قالها الطفلُ رافعًا يده، فحيّاه وبدأ يُلاعبهم بالكرة قبل أن تقترب منه «سلوى» مديرة الملجأ قائلة:

- «حلمي» بيه، في مكالمة على الخط الأرضي.

قالتها مُشيرة له لهذا الاتصال، بعدما ترك «حلمي مهران» كل هواتفه في القاهرة، فتوجه إلى الشاليه واستقبل المكالمة مُبتسمًا، فلقد استطاع «هشام» إعطاءه هذا الإذن الذي كان ينقصه، فخرج مُبتسمًا إلى الشاطئ وهو يرمق ربّ السحاب؛ ليُكمل لعبه مع الأطفال في تلك الليلة الأخيرة في إجازته التي كانت تحت عينَي «سلوى» بالطبع.

***

عاد «حلمي مهران» من إجازته وتوجّه إلى مكتب صديقه

«هشام» الذي كان ينتظره وأمامه هذا الرجل المدعو «محمد ناجي» صاحب اليخت الذي استعاره «حلمي مهران» في بداية أحداث تلك الليلة، ومن جانبه كان ابنه المتهم.

- أهلًا يا «حلمي» بيه، اتفضل.

قالها للتو «هشام» مُحييًا «حلمي مهران» على مَرأى ومَسمع من «محمد ناجي» الذي ابتسم فور سماع ما قاله «هشام»:

- دي قضية ابن الأستاذ «محمد ناجي» اللي أنت موصّيني عليها بنفسك.

- أنا كنت متأكد إنك مش هتنساني يا أستاذ «حلمي».

- وهوّ أنا هاقدر أنساك!

يقولها «حلمي مهران» وهو ينظر إلى «هشام»، متابعًا:

- «محمد» بيه يا «هشام» كان ليه الفضل عليَّ لما سلّفني اليخت بتاعه.

يبتسم الرجل في فخر ليُعلق «هشام»:

- ما أنت بلّغتني فعلًا. تِسلم نخوتك ورجولتك يا «محمد» بيه.

- وهو ده ييجي إيه جنب أفضالكو عليَّ أنا وابني!

يقولها الرجلُ قبل أن يتدخّل «حلمي مهران» قائلًا:

- لأ مفيش أفضال ولا حاجة، وعلشان نعرف نتكلم، آدي حق إيجار اليخت بتاعك وبزيادة شوية.

علّق «حلمي مهران» مُخرِجًا بعض المال من جيبه؛ ليعطيه للرجل الذي بات صامتًا.

- معلش يا «محمد» بيه الشغل شغل، وزوّدلي بقى عندك يا «هشام» بيه اتهام الرشوة اللي عرضها عليك الأستاذ علشان قضية ابنه!

- حصل يا «حلمي» بيه، كل حاجة متقيدة، والفلوس اللي بعتهالي اتقيدت، يعني إن شاء الله فيها تلات سنين كمان.

يبتلع الشاب ريقه من جانب والده، بينما يبتسم «هشام» لـ«حلمي مهران».

- ممكن بقى نروح مشوارنا؟!

يقولها «هشام» مُبتسمًا قبل أن يَخرج مع «حلمي مهران» تاركَيْن الرجل لتُهمه، ليتوجّها مع «ماجي» إلى المقابر.

- أنا مش فاهمة كان لزومه إيه مشوار المقابر ده يا «حلمي»!

- تاني يا «ماجي»! ده أنا ما صدّقت «هشام» جاب التصريح!

- كل ده علشان فلوس البورصة طلع فيها نقص! عادي ممكن تكون صدفة!

قالتها «ماجي» للتو مُوضّحة أن المبالغ التي فُقدت وقت اختراق البورصة، قد تكون بفعل فاعل آخر ممن استغلوا الموقف؛ خاصة أن المبلغ المفقود لم يتعدَّ العشرين مليون

جنيه، وهو نسبة ضئيلة مقارنةً بالأموال المسترجعة.

- مفيش حاجة اسمها صُدفة في شغلنا، وبعدين دول ٢٥ يا جماعة!

- ما إحنا شغالين عليهم يا «حلمي»، وهنجيب اللي عمل كده، وممكن يطلع مشكلة من النظام نفسه؛ لأن مفيش شكاوى لسة ظهرت.

- ما هو علشان أغلب الشركات اللي اتضررت نقص رصيدها بأرقام قليلة أوي، ما تخليش حد يتحرك، وده ذكاء.. بس مش صناعي!

- طب لو مش ذكاء اصطناعي، ومش «طاهر»، ممكن يبقى مين؟!

***

من يخت ما وسط المياه، كانت هي الآن تقوده مُرتدية زِي السباحة، تستمتع بأموالها الطائلة، من أحد سواحل اليونان، وقد دوّنت رمز تلك الجمجمة الإلكترونية على ظهر اليخت!

بينما كانت الآن قد وصلت إلى الشاطئ، لتصُفّ يختها على لسان خشبيّ، مشت عليه بخطوات هادئة وثاقبة حتى وصلت «درية» إلى بار صغير عند الشاطئ؛ لتشتري منه مشروبًا خاصًا جدًّا.

***

من عند المقابر كان «حلمي مهران» متوقفًا أمام «ماجي»

و«هشام»، بينما كان هناك بعض الرجال ينبشون في قبر ما.

- أنا بطّلت أشُك غلط يا «ماجي»، أنا راجل قانون أه، بس الفرق بيني النهارده وإمبارح، إني أتعلمت أكون إنسان، والإنسان مش بس بذكائه، لكن بإحساسه كمان، وأنا إحساسي بيقول إن السر هيبان في القبر ده!

يقولها وهو يُشير إلى هذا القبر المفتوح، قبل أن أن يقترب أحدُ الرجال من «هشام» الآن هامِسًا إليه بكلمة وترّته، ليناذي «هشام» صديقَيْه:

- تعالوا معايا بسرعة!

يقولها «هشام»، فتتبعه «ماجي» و«حلمي مهران» الذي نظر إلى داخل هذا القبر المفتوح مُندهشًا للتو.

- إزاي؟! الجثة فين؟!

تساءل الجميع بينما ظل «حلمي مهران» مُبتسمًا.

***

من الشاطئ أخرجت «درية» ورقة بمائة يورو، وأعطتها بقشيشًا للنادل، ثم أخذت المشروبَيْن وتوجّهت بهما إلى حبيبها المستلقي على الشاطئ يستمتع بالمنظر، وهو يرسم بإصبع يده قناعًا لجمجمة إلكترونية يحفظها عن ظهر قلب.

يرسمها «الرجل» قبل أن تستلقي «درية» إلى جواره، وهو يقوم باتصال أخير مُستمتعًا بالمنظر الذي أمامه.

من عند المقابر يظهر صوت رنين هاتف «حلمي مهران»

المميز، والذي كان واقفًا عند قبر «طاهر» الخالي من جُثته، ليسمع للتو هذا الصوت المميز:

- وحشتني يا «حلمي»، أنت ليه لسه بتدور..؟!

***

روح* روح.

إلى اللقاء مع القضية السابعة

جميع الرسومات والاسكتشات بالفيلم أصلية، وتم تنفيذها بتقنية الذكاء الاصطناعي بالفعل!



خرج «حلمي مهران» للتوّ من إحدى سينمات وسط البلد والتي كانت تعرض فيلمًا مصريًّا جديدًا، شاهده في سعادة وتأمّل، ليتماهى في قصة هذا البطل الذي لم يفارق كادرًا من الفيلم، حيث كانت فكرته ألا يظهر إلا بطل العمل في أغلب أحداثه، الذي ظل طوال الفيلم على «خط مفتوح» فشعر وكأنه هو «حسن» بطل هذا الفيلم السينمائي، فكثيرًا ما يجعلنا الفنُّ نفقد التمييز بين الواقع والخيال!

***



www.AhmedOsman.com

Ask@AhmedOsman.com



/ArchAOsman

«أحمد عثمان»



المؤلف في سطور

«أحمد عثمان»

مواليد القاهرة عام 1982، تخرج في كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، جامعة حلوان عام 2004، ليبدأ مشواره الاحترافي في مجال التصميم المعماري والديكور، متخصصًا في المجال السكني، حتى استقر فترة في «باريس» وأنشأ شركته للعمارة والديكور، ومن ثم عاد للقاهرة ليفتح فرعها الثاني في حي التجمع الخامس بالقاهرة الجديدة.

درس كتابة السيناريو على يد المخرج الراحل «إبراهيم الشقنقيري»»، وعمل معه في بعض أعماله في بداية الألفينات، ثم ابتعد فترة طويلة قبل أن يعاود الكتابة في عام 2015، ليتخذ من الأدب الروائي طريقًا له بجانب الديكور والهندسة المعمارية، وليحقق نجاحًا باهرًا محتلاً مكانة بارزة في قائمة الأعلى مبيعًا في سوق النشر، ومحتلا رأس قائمة الأعلى مبيعا في «إبداع للترجمة والنشر».

مؤلفات الكاتب:

صدر للكاتب الأعمال الروائية الأتية:

- «لمسة مليكا»
- «الوحي»
- «لَ نوفيلا»
- «القديس»

- «10 31»
- «الخائن»
- «السيناريو X»
- سلسلة «حلمي مهران» (5 قضايا)....

ظهرت أولى تجاربه في الكتابة السينمائية في عام 2021 من خلال فيلم «قبل الأربعين».

وكان مسلسل «روحي فيك» أول تجربة له في الكتابة الدرامية، وعرض على الشاشات 2023.

«ولا يزال في جعبته المزيد».